عبد الله كمال

الإباحية والإجهاض

معركة الأزهر والحكومة



الإباحية والإجهاض
معركة الأزهر والحكومة !

عبد الله كمال



تصميم الغلاف
عمرو فهمى

الإشراف الفنى
سمير هدية

الطبعة الأولى أكتوبر ١٩٩٤



دار سفنكس للطباعة والنشر والتوزيع
٧٦٠٢٨٥ - ٧٦٥٧٤٢ - ٣٩٢٨٥٦٩

الإهــداء

إلى كل الناس ..

ما عدا الأزهر والحكومة ..

المؤلف

دعـــوة

هذه الدار

هى دار نشر حرة تعتبر ملتقى لكافة الكتاب المصريين والعرب من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والقومية .

وهى تدعوهم جميعا لكى تنشر آرائهم وأفكارهم وميولهم واتجاهاتهم الفكرية المتباينة دون حظر أو إضافة أو تعقيب .

وهذه الدار مستقلة تماما لا يقودها تيار محدد وإنما يحدوها الأمل فى أن تكون مركز إشعاع فكرى مستنير ومؤثر لخدمة وطننا وعالمنا العربى الحبيب .

« الناشر »

ما يشبه المقدمة

□ إفتح رجليك .. إنك فى القاهرة ! □

لو أن مخلوقاً من عالم آخر قرأ صحف القاهرة فى شهر أغسطس ١٩٩٤ لا ستحم وقد تعطر واستعد للحياة فى مدينة ترفع الرايات الحمراء.

ولو أنه زار مصر فى تلك الأيام الساخنة لملأ جيوبه بالدولارات وتجول فى الشوارع باحثا عن العاهرات والأطفال الذين غرقوا فى الجنس والمراهقين الذين أدمنوا المضاجعه والشواذ الذين يخالفون الطبيعة.

ولو أنه تصور كل هذا ما لامه أحد.

ولماذا يلومونه والمنشورات توزع فى الشوارع ضد الفجور، والخطباء فى المساجد يهاجمون الإباحية ، والأزهر يضطر لأن يذكر الناس بحرمانية الإجهاض، وبعض الصحف تطالب الناس بالكتابة إليها حتى يقفوا ضد المؤتمر الذى يدعو للشذوذ تحت لافتة بحث موضوعات «السكان والتنمية»، بل إن الرئيس المصرى حسنى مبارك اضطر لأن يعلن أنه ضد كل هذا .. مع أن تلك بديهية .

والمشكلة أننى لست هذا المخلوق الغريب الذى يمكن أن يتصور أن القاهرة صارت عاصمة للإباحية ومرتعاً للإجهاض بأمر من الحكومة الأمريكية ..

والمشكلة أن كثيراً من هذه الكلمات الضخمة التى أثارت الغبار قبل مؤتمر السكان أثارتنى أنا أيضا .. فقلبت فى الأوراق ، وبحثت لدى المسؤلين عن خطة الإباحية وسيناريو الفجور، وقرأت دفاتر الجنس ، وأبحاث منع الحمل ..

وكانت نتيجة البحث مفاجأة ..

مفاجأة ليس لها علاقة بالأخلاق ..

أو بالدفاع عن الدين .

أو بالحرص على مستقبل المراهقين .

أو بحماية الأمهات .

أو بزيادة نسل المسلمين .

إنها معركة بعيدة تماما عن كل ذلك، وإن كانت قد ختارت السرير وغرفة النوم ميداناً لها.

وليس هذ الكتاب سوى رصد لتلك المعركة !

عبد الله كمال

روز اليوسف

سبتمبر ١٩٩٤

الفهرس

(١)

الإجهاض .. بعود الملوخية وإبرة التريكو !

- جماعات علنيه تطالب بحق الإجهاض للمصريات .
- إذا حملت المرأة فى مصر « تروح للدكتور يتصرف » .

«دنيا» .. زوجه عندها ثلاثة عيال .

تستخدم البرشام لتمنع الحمل .. وقد حملت بطريق الخطأ .. « قدرت تنزله .. حطيت عود ملوخية عليه جاز جواى .. نزفت جامد .. رحت المستشفى .. الدكتور عمل لى عملية تنظيف .. ما شكش لحظة فى إنى حامل .. ونفعت الطريقة اللى سمعت عنها من جيرانى » !

وبالتأكيد .. لم تسمع دنيا عن مؤتمر السكان .. ولم تأمرها الدولة بالإجهاض حتى تتخلص من الطفل الرابع. ولم تستجب لنصائح أمريكا - المزعومة - بإتاحة حق الإجهاض كشرط للحصول على المعونات .. لكن الذى حدث أنها قررت، ولجأت لحل خاص على الطريقة الشعبيه ..

وانتهى الأمر ..

دون أن يعرف بذلك الرئيس مبارك .

أو شيخ الأزهر .

أو حتى وزير السكان .

إن هذا السيناريو يتكرر فى مصر كل يوم .. دون أن يدرى أحد .. أو لنقل .. إن أحداً لا يريد أن يعلم .

وبالتالى ما هو سر الضجة حول الإجهاض ؟

تلك قصة طويلة لها علاقة بأشياء كثيرة ومعقدة للغاية، تبدأ بالإجهاض وتنتهى بالصراع السياسى مع الحكومة، وبأمانى جماعات التطرف، وبأحلام المحافظين، وفى نفس الوقت بموقف جماعات قليلة فى مصر تدافع عن حقوق المرأة بما فيها الإجهاض.

سنشرح القصة بالتأكيد ..

ولكن دعونا أولا نعرف أبعاد الصورة ومن خلالها سوف نكتشف القصة.

□ □ □ □ □ □

لقد عرفت مصر ضجة « الإجهاض » .. عندما عرفت ضجة « تنظيم الأسرة » .. وعندما أصبحت متداولة بين الناس كلمات .. ومصطلحات مثل « العزل » ، « فترة الأمان » ، « الرضاعة الطبيعية لفترة طويلة » ، « الواقى الذكرى » ، « الحاجز المهبلى » ، « اللوالب الرحميه » ، « وأقراص منع الحمل » .

فى نفس الوقت ظهرت مصطلحات غريبة على مصر .. مثل «التعقيم» و «الاجهاض» وقد كانت هاتان الوسيلتان واسعتى الانتشار فى الخارج، وقد نقلت الضجة من الخارج إلى الداخل .. وزعم البعض ـ وهذ غير حقيقى ـ أن الدولة سوف تتجه لاستخدام هذه الوسائل الحرام من أجل تخفيض النسل .

ويقول «كارل دجيراس» فى كتابه «سياسة منع الحمل فى الحاضر والمستقبل» عن «التعقيم» .. لقد دخل هذا الأسلوب سواء فى الرجال أو النساء ضمن برامج منع الحمل الآن فى معظم دول العالم. وهو فى الرجال أسهل من النساء، يتم بإجراء عملية صغرى خارج جدار الجسم بواسطة مخدر موضعى .. بعكس عملية ربط قناة فالوب فى النساء التى تعتبر أكثر تعقيدا وتحتاج لمخدر عام لإجرائها فى معظم الحالات .

وينتشر استئصال الرحم فى أمريكا وأوروبا ليس كوسيلة بديله للتعقيم ولكن كعملية إختيارية تلجأ إليها نساء أوروبا بإرادتها تحت ظروف معينه .

أما الإجهاض ..

فقصة أخرى .

يقول «كارل دجيراس» : ادخل الإجهاض كوسيلة من وسائل منع الحمل وقد ربطت الدراسات بين الحالة الاقتصادية والطبقة الاجتماعية لمجتمع وبين الاجهاض .. وتقول هذه الدراسات إن التحكم فى النسل يبدأ بالإجهاض .. ثم تزداد نسبة الأخذ بالوسائل الأخرى لمنع الحمل كلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية، حتى يقل الاعتماد على الإجهاض كوسيلة لمنع الحمل لدرجة كبيرة .

ولكن هذا غير صحيح فى كل الأحوال !

ففى اليابان مثلا ، حيث يرتفع المستوى الاقتصادى، نجد أن الإجهاض يشكل الوسيلة الرئيسية لمنع الحمل.. والسبب أن الدولة أباحت الإجهاض عن طريق القطاع الطبى الخاص.. وتلك هى أيضا نفس الحالة فى بعض دول أوروبا الشرقية السابقة، حيث لم تكن تتوفر وسائل منع الحمل أو التعقيم .. والدليل على ذلك أنه عندما لجأت كوبا إلى منع الحمل قفزت نسبة الإجهاض بشكل حاد للغاية .

□ □ □ □ □ □

إلا أن الصورة مختلفة فى دول أخرى .

ففى أمريكا وبريطانيا والسويد تزيد نسبة الإجهاض بين الصبية والفتيات فى سن المراهقة أكثر منها بين المتزوجين.. لكنه فى الهند ودول أوروبا الشرقية يزيد بين المتزوجين عنه بين صغار السن من غير المتزوجين .. ويساعد على ذلك أن القانون هناك يبيح الإجهاض. أما فى العالم الغربى «المرفه» فإن الإجهاض يزيد بين صغار السن .

والسبب ..

التسيب الاجتماعى والتفكك الأسرى الذى تعانى منه هذه الدول .. ولكن عندما يكبر الصغار ويعرفون وسائل منع الحمل الأخرى فإنهم يقبلون عليها وهم فى سن الزواج أو متزوجين مثلا .

والمعنى .. أن الإجهاض هو الفقر .. والجهل !

ويقول كارل : بالرغم من كل ما بذل من جهود فإن نسبة الإجهاض فى إرتفاع حقيقى فى العالم أجمع. والهدف المنشود لكل المهتمين هو القضاء على «الإجهاض المتعمد» أو ما كان يسمى «بالإجهاض الإجرامى» الذى لم يعد جريمة فى أغلب دول العالم بقوة القانون .

ومن هنا فإنه يرى أن العمل يجب أن يمضى فى اتجاهين أولا استبدال الإجهاض بوسائل منع الحمل الأخرى فى الدول التى تعتمد على الإجهاض كوسيلة لتحديد النسل .. وثانيا توضيح المضار والمضاعفات الجسدية والنفسية التى يسببها الإجهاض المتعمد مثل - نقص النمو فى الولاده المبكرة وانخفاض وزن الطفل عند الولادة وازدياد فرص الإجهاض الذاتى .

انه وباء .. حسب وصف الخبير الغربى .

إنه أيضا يقدره فى العالم بنسبة ٨٪ بين جميع النساء المخصبات .

إنها كذلك مجرد رؤية علمية ليس لها علاقة بالوهم القائل إن الغرب يحاول أن يفرض علينا تلك الوسيلة حتى يقضى علينا، أو على الأقل على زيادتنا العدديه !

□ □ □ □ □ □

ولكن ..

ماذا عن مصر مرة أخرى ؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بأكثر من طريقة ..

لكن الطريقة المثلى عند وزير السكان الحالى. الدكتور ماهر مهران ، وهو أستاذ فى أمراض النساء .. وصاحب دراية كبرى فى موضوع الإجهاض.. إلى درجة التخصص .

يقول فى دراسة قديمة: حكايات الزوجات كثيرة .. كلها تبدأ بخطأ صغير أو إهمال أو صدفه .. وتنتهى بهمسه فى أذن الزوج «أنا حامل» .. وقد يصدر الزوج الحكم بالإعدام على الجنين الذى وصل رغم أنفه ، ثم يترك للزوجة طريقة للتصرف .. فهو دائما يعتقد أنها المسئولة عما حدث .

ولا يكون هناك طريق أمام الزوجة سوى سؤال الجارة أو العطار أو الصيدلى.. وأخيرا تبحث عن الطبيب الذى يوافق على تنفيذ حكم الإعدام. ويقول ماهر مهران : أى طبيب يجب أن يرفض، ثم عليه أن يوضح مبررات الرفض.. إلا إذا كانت الحالة تفرض ذلك.

ويحدد وزير السكان الذى وصفوه فى إحدى المقالات بأنه وزير الفجور والإباحية تلك الحالات بأنها التى تسبب خطراً ، على صحة الأم، مثل بعض أمراض القلب ، وإرتفاع ضغط الدم وأمراض الكلى التى يستعصى علاجها وحالات القىء المستمر مع الحمل مما يهدد حياة الحامل ، أو إذا كان الجنين معرضا للتشوه.

وفى أحوال كثيرة لا تتوافر مثل هذه المبررات .

ولكن الزوجة تنفذ عملية الإجهاض.

وحسب عدة مقالات كتبها الدكتور «ماهر مهران» فى مجلة طبيبك الخاص عام ١٩٧٢ فإن هناك عدة طرق شعبيه لذلك .. يقول : قد تقفز

بعنف من فوق السرير .. أو تضغط على بطنها بأوزان ثقيلة .. أو تكون أكثر تهورا فتدخل فى جسمها أجساماً غريبة مثل عود الملوخيه وإبرة التريكو .

والخطورة هنا تكمن فى الالتهابات العنيفه التى تحدث بالرحم والإصابة المباشرة للجنين .. صحيح أن الإجهاض قد يحدث ، ولكنه قد يصل بالأمر إلى حافة الخطر.

وبعضهن يخاف ..

فيذهبن للدايه ، أو ممرضة ..

وهنا يتم استعمال طريقة غالباً ما تكون استخدام أنبوبة مطاطية رفيعة تدخلها المرضة فى الرحم. . وتتركهها فى مكانها عدة ساعات ، فينفجر الكيس الذى يضم الجنين ويصاب الجنين نفسه .. وهى طريقة معروفة باسم القسطرة .

وعند العطار طريقة أخرى ، فتغلى الأم الأعشاب على ماء فوق النار وتشرب .. أو تحتسى الخمور أو تبتلع أقراص الكينين .. أو تذهب للصيدلى وتسأل عن حقن الإجهاض .. وهى حقن غير موجودة بصورة واسعة فى مصر .

وربما كان مبكراً للغاية فى ذلك الوقت أن يعلن «ماهر مهران» موقفه من الإجهاض .

وربما سأل أحدهم هل كان يعرف أنه سيصبح وزيراً للاسكان ؟

وربما يسأل آخر هل كان يعرف أنه سيدخل معركة من أجل تبرئة ذمته من «حق الإجهاض» ؟

لقد سأل نفسه قبل ٢٢ سنة : أليس من الأفضل إباحة الإجهاض ، وهل يمكن إعتبار الإجهاض وسيلة لتحديد النسل ؟

فأجاب على نفسه قائلا : لنأخذ الاتحاد السوفيتى كمثال حيث صدر قرار بإباحة الإجهاض ، وأصبح من حق كل زوجة أن تتخلص من الجنين الموجود فى بطنها إذا أرادت ذلك .. ثم صدر قرار آخر يمنع ذلك ، وتم تحديد الحالات التى يتم فيها السماح بالإجهاض .

لماذا صدر القرار الثانى ؟

لأنه ثبت من الإحصائيات الدقيقة أن إباحة الإجهاض خلقت جيلا مريضاً من الأمهات .. لأن المضاعفات بعده تستمر.. بل إن العملية نفسها تولد فى داخلها الأم آثارا نفسيه مؤله لإحساسها أنها قضت على «مشروع إبن» .

أما فى الحالة الأولى ، حالة السماح .. فقد كانت هناك مبررات تقول أن عدم قانونية الإجهاض دفعت النساء لمزيد من حالات الإجهاض السرية ، التى أدت لحالات وفاة كثيرة بسبب جهل من يقومون بها وعدم توافر الاشتراطات الصحية اللازمة .

وفضلا عن هذا اتضح أن الإجهاض المسموح به دفع النساء إلى تجاهل وسائل منع الحمل الأخرى.

ورغم ذلك فإن «ماهر مهران» كان يرى أن هناك أسباباً تدفع أحيانا لتلك العملية .. يقول : يجب أن نعمق نظرتنا إلى واقع الحياة .. ويجب إعطاء حق الإجهاض لمن أنجبت ست مرات ، وهى حامل فى الطفل السابع والسبب أن صحة الزوجة من النظرة الواقعية لن تتحمل السابعة فهذا خطر أكيد .

وهناك عشرات الحالات الأخرى التى تسمح بذلك.

وهنا يجب أن تتم العملية فى الفور.. بلا خوف.. وبأقل أضرار.

كان هذا فى عام ١٩٧٢.

وكانت تلك هى الافكار المتداولة من أشهر طبيب أمراض نساء فى مصر.

وفيما بعد إضطر نفس الطبيب الذى أصبح وزيراً الآن يرضخ لهجوم المتطرفين ، وينفى تماما حق أيه امرأة فى الإجهاض .. إلا فى حالات خاصة جدا.. رغم أن الأصوات التى ارتفعت كانت تطلب فقط القضاء على الإجهاض المتعمد ، وتنفيذ الحالات التى تستلزم ذلك.

□ □ □ □ □ □

غير أننا نتوقف عند ملامح الصورة قبل مؤتمر السكان بثلاثة أعوام.

تحديداً فى عام ١٩٩١.

ثبت وقتئذ أن نصف المصريات يستعملن وسائل منع الحمل «٥٢٪ تستخدمن اللولب ، ٣٧٪ الأقراص، ٤٪ حقن منع الحمل ، ٤٪ موانع موضعيه ، ٣٪ الواقى الذكرى» وبجانب هذا هناك الإجهاض الغير مدون فى أية أرقام .. وتقول مارلين تادرس فى كتابها «تقييم وضع المرأة فى مصر» : من الصعب التوصل إلى إحصاءات دقيقة فى شأن هذ الموضوع .. كلها اجتهادات فرديه ، لأن الإجهاض مجرم قانونا .. وإن كان يتم فى المنازل خاصة طبقات ذوى الدخل الذين لا يلجأون إلى المستشفيات إلا بعد حدوث مضاعفات .

وفى عام ١٩٩١، لم تكن هناك إحصائيات متوافرة إلا عن عام ١٩٧٥.. منسوبه لبحث أجرى فى قسم النساء والتوليد بمستشفى عين شمس التخصصى على عينة مكونه من ١٢٣٧ سيدة.

أثبت البحث أن الإجهاض يحدث غالبا بعد ٢,٤ شهر، وأن ٣٧,٢٪ تتخلص من الجنين قبل ثماني أسابيع خاصة فى حالات الإجهاض المتعمد، و ٤٩,٤٪ منهن يجهضن بين الشهر الثانى والثالث للحمل ، بعد التأكد من الحمل فعلا .. أما ٢٠٪ فقد تأخرن حتى الشهر الثالث والرابع بسبب تكرار محاولات الإجهاض وفشلها عدة مرات .

فى هذا البحث ثبتت وفاة سيدة واحدة .

وفيه أيضا أقرت ٨٩ سيدة فقط بأنهن أجهضن عن عمد.

وفيه كذلك هربت الغالبية من الحقيقة، وادعت السقوط من فوق سلم أو حملن أثقالاً .. وهى بالطبع حجج كثيرا ما سمعها الأطباء ، لكنهم غالبا ما يعرفون الإجهاض المتعمد بسبب النزيف الحاد ووجود بقايا أشياء استعملت فى عملية الإجهاض البدائى مثل القلم أو عود الملوخية .. فضلا عن وجود تمزق أو ثقوب بالرحم أو التهاب البريتون .

ولكن الإجهاض رغم ذلك مستمر.

تقول الدكتورةمواهب المويلحى ـ نقلا عن مارلين تادرس – إن هناك نظرة جتماعية واقتصادية لحالات الإجهاض فى مصر .. فمن جانب تعتبر نسبة الحمل غير الشرعى قليلة نسبيا فى مصر نتيجة للتقاليد والعادات والشريعة الدينية ، خاصة وأنه يجوز قتل الفتاة إذا ثبت حملها جنيناً غير شرعى بالمناطق الريفية .. ومن جانب آخر فإن الحمل غير المخطط له يمكن أن يحدث نتيجة الاغتصاب ، ومعاشرة المتخلفين عقليا .. أو الفتيات القاصرات .. وفى هذه الحالات يتم إجراء الإجهاض .

إلا أن الحالة تتجسد اكثر فى عام ١٩٩٤.

فالمشكلة صارت أخطر.. والوضع أصبح صعباً .. ومعدلات الوفيات تزداد بسبب الإجهاض .. وتقول الدكتورة مواهب المويلحى فى «بحث عن وفيات الأمهات فى مصر نتيجة للإنجاب والحمل» - نشر فى كتاب المنظمة المصريه لحقوق الإنسان : حقوق لا تتجزأ - تقول : إن الإجهاض مشكلة طبية واجتماعية خطيرة تواجه سيدات العالم الثالث عموما، ومن بينهن سيدات مصر .. وقد أثبتت الدراسات فى مصر أن نسبة هذه الوفيات تتروا ح بين ٢ و ١٠٪ من جملة الوفيات الناتجة عن الحمل والإنجاب ، إلا أن بعض الدراسات تشير إلى زيادة هذا المعدل.

وتلقى الدراسات بقنبلة ..

المشكلة أن معظم هذه الحالات هى أصلا حالات حمل غير مرغوب فيه ، لأسباب شتى منها كثرة عدد الأبناء وزيادة حجم الأسرة والاسباب الاقتصادية وعدم التوافق بين الزوجين .. وهكذا فإن عامى ١٩٨٣/٨١ شهدا ٢١ وفاة بسبب الإجهاض فى المنوفية ، و٢٤ وفاة فى الصعيد بين ٨١ و ١٩٨٥، و٤ وفيات فى مستشفى شبرا بين عامى ٨٠ و ١٩٨٥.

وسط هذه الحالة، التى تعانى من مشاكل عديده ، وفى وضع قانونى يجرم الإجهاض رغم انه يتم كل يوم .. جاءت عدة أبحاث فى مصر تطالب بمنح المرأة حق الإجهاض فى حدود معينة .. وتأتى هذه المطالبة فى إطار أن من حق الأم أن تأخذ قرار الإنجاب .. وفى إطار مجموعة من الحقوق اتفقت عليها مجموعة من النساء ، والمنظمات النسائية فى مصر - تحت عنوان - « الحقوق الإنجابية » .

وهذه الحقوق لها أربعة أنواع.. وتشمل مرحلة ما قبل البلوغ «حق الحماية من الختان، وحق التغذية السليمة، وحق الحماية من الزواج المبكر

وحق التعليم والحصول على المعلومات الصحية الأساسية» .. ثم مرحلة البلوغ وحتى سن الطمث .. « حق اختيار شريك الحياة ، حق الحماية من الانتهاك الجسدى والنفسى خلال الممارسة الزوجية ، حق الحصول على المعلومات الخاصة بالعلاقة الزوجية وعمل الاختبارات المعملية للزوجين فى مرحلة ما قبل الزواج » .. ثم مرحلة الأمومة وقرار الإنجاب « حق إختيار توقيت الإنجاب وعدد الأطفال ، حق اتخاذ القرار فى حالة الحمل غير المرغوب فيه ، حق المشاركة فى اتخاذ القرار بشأن طريقة ومكان الولادة وحق اختيار واستعمال وسيلة منع الحمل ، وحق الحصول على المعلومات الصحيحة اللازمة » .

ولم يكن للأمر علاقة قويه بإطلاق حق الإجهاض ..

وإنما قتصر على توفيره للفقيرات الراغبات فى التخلص من الجنين ، وأن يسمح للمستشفيات بتقديم تلك الخدمة العلنية .

ومما شجع هؤلاء النسوة على المطالبة بتلك الحقوق النتائج والتى أظهرها بحث ميدانى أجرى على مائة سيدة ..

وكان السؤال الأول فى البحث هو : إذا الست حملت وهى مش عاوزه تعمل إيه ؟

وكانت الإجابة : تروح للدكتور يتصرف (٢٨٪) ، تسلم بإرادة ربنا (٢٧٪) تعمل إجهاض (٤٥٪).

أما السؤال الثانى فكان : إذا الست مستخدمة وسيلة لمنع الحمل وحملت تعمل إيه ؟

وكانت الإجابة : تروح للدكتور يتصرف (٣٢٪) ، تكمل الحمل (٣٣٪) ، تسقط (٤٦٪).

وكان السؤال الثالث : ما هى الطريقة الأفضل للإجهاض ؟

وكانت الإجابة: فى مستشفى أو عند دكتور (٧٠٪) ، عند الدايه (١٢٪) تنفذ عدة وصفات (١٨٪) .

وهكذا فإن الأرقام خطيرة للغاية ، وهو ما أثار جدلا كبيرا، خاصة وأن هناك خلافاً كبيراً حول السبب الذى يمكن السماح للمرأة بالاجهاض فيه .. وهل يقتصر الأمر على حالة الخطورة الصحية على الأم أم أنه يمكن إدراج أسباب أخرى خاصة بالحالة السيكولوجية ، كأن تكون الأم مصابة باكتئاب نفسى بسبب الحمل أم لا ؟

وقد شهدت أنا خلافا من هذا النوع داخل فندق شبرد عندما كانت الجمعيات المصريه تناقش التوصيات التى ستقدمها لمؤتمر السكان.. فاعترضت طبيبة على الأسباب النفسية ـ وقالت أخرى : إننا ندعو إلى إيقاف الإجهاض العمد .. وأن يصدر تشريع خاص بحالات الاغتصاب والأطفال الحرام .

وقالت إحداهن : لا .. يجب أن يبقى حتى لو كان حراما ؟!

وقوبل الرأى باعتراض خاص.

ثم تحدثت طبيبة نفسيه عن أهمية توفير تلك الخدمة التى تتم كل يوم فى المستشفيات العامة، بشرط دفع الرشاوى التى قد تكون فى شكل نصف لتر دم ، أو التبرع بـ ٢٠٠ جنيه. وقالت نفس الطبيبة المشكلة هى فى النساء اللواتى لايجدن ثمن الإجهاض الفقير «٢٥٠ جنيه » .. وليست مشكلة اللواتى يمكن أن يدخلن أى مستشفى فاخر ويدفعن ٧٠٠ جنيه مقابل تنفيذ رغبتهن.

ولكن الخلاف لم ينته ..

خاصة أن الضجة السياسية غطت على المناقشة الموضوعية ..

وانتهى الأمر بفتوى من الأزهر تذكر الناس أن الاجهاض حرام.

وبتصريح من وزير السكان يؤكد فيه أنه حرام.

وببيان من الجمعيات تؤكد فيه أنه حرام .

فهل كان الناس يجهلون ذلك .

أم أنه هروب جماعي من مشكلة موجودة بالفعل ؟

(٢)

الإجهاض ..
من شيخ الأزهر إلى بابا الإسكندرية !

- ☐ الشيخ قال إن التعقيم المؤقت .. حلال !
- ☐ والبابا قال إن الإجهاض حرام حتي لو تعرضت حياة الأم للخطر!

.. وقد أفتى الأمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ جاد الحق بإسقاط الحمل خلال فترة الأشهر الأربعة الأولى ، بناء على فتوى فقهاء المذهب الحنفى .

تلك هى نهاية هذا الفصل .. نهاية مصرية .

أما البدايه فلها أكثر من مكان آخر ، ولتكن النقطة الأولى من إنجلترا .. الثلاثينات .

كانت الحادثة إغتصاب فتاة قاصر .. وكان القانون يسمح فى إنجلترا بالإجهاض لدواع إنسانية إذا حدث ذلك في واقعة إغتصاب ، أو ممارسة الجنس مع فتاة قاصر .. أو مجنونة .. بشرط أن يتم إثبات ذلك أمام القضاة .. وبناء عليه وقف طبيب اسمه بورن متهماً بالإجهاض يحاول إثبات براءته أمام المحكمة ورغم أن الأم التى أجهضت كانت قاصرا، ورغم أنها كانت فى الرابعة عشرة .. أى أن شروط الدواعى الإنسانية متوافره إلا أن الطبيب فضل أن يقنع المحكمة بطريق علمى صحي.. فقال : هذه الفتاة سوف تتعرض لخطر شديد لو أنها ولدت ذلك الطفل كاملا ، لأنها تعانى من صغر حجم الحوض ، سواء كان لحماً أو عظماً .

وانتهى الأمر بالبراءة .

وكانت تلك واحدة من أمثلهةعديدة تجيز بعض الدول حالات الإجهاض فيها .

هناك دول مثلا تشترط وجود دواع طبيه، لكن هذه الدواعى إتسعت للغايه .. وبدأت بالخطر الذى يمكن أن يهدد حياة الأم ، إلى الخطر على صحتها .. وهى درجة أقل من الخطورة على الحياة ، ثم « إذا كانت هناك

خطورة على الصحة الجسميه والنفسية» ، ووصل الأمر إلى حد الإجهاض فى حالة ما إذا كان هناك ضرر سوف يتعرض له أحد أفراد الأسرة .

بجانب ذلك أبيح الإجهاض فى الحالات التى يتم التأكد فيها من أن الجنين يتعرض لخطر ، أو إذا كان مصاباً بمرض ، أو عاهة ، أو كان قد مات بالفعل .

فى دول أخرى هناك معايير تسمح بالإجهاض لأسباب طبيه واجتماعية كأن يكون سن الام كبيرا أو صغيرا.. أو بسبب تقارب الولادات . وكمثال فإن القانون التونسى يبيح الإجهاض إذا كان لدى الأم خمسة أطفال أحياء فى المقابل يسمح به القانون الأردنى إذا كان الحمل حدث بسبب جريمة تمس الشرف .

وبجانب هذا ظهر الإجهاض حسب الطلب .

تلك هى أسباب معركة الإسقاط الدائرة فى العالم منذ سنوات بين الجماعات المؤيده للإجهاض والكنائس المسيحية والجهات الدينية الإسلامية وفى بعض الدول انتصرت الجهات الدينية ، وفى دول أخرى حدث العكس .

المصدر : « بحث الدكتور حسان حتحوت - الإجهاض فى الدين والطب والقانون» .

نعود إلى بريطانيا.

بالتحديد فى عام ١٩٦٧ عندما صدر قانون إباحة الإجهاض .

وقد كان قانوناً طريفاً للغاية يسمح بالاجهاض إذا كان الحمل يحمل فى طياته خطرا جسميا أو نفسيا على المرأة أو أى من أطفال العائلة، حتى لو كان هذا الطفل المتضرر من الحمل إبنا بالتبنى .. وسواء كان ذلك الضرر

حدث فى الحاضر أو سوف يحدث فى المستقبل المنظور .. هكذا كان القانون فى غاية المرونة.. ترك للطبيب ظروف تقدير الإجهاض من عدمه .

فى مصر قانون مختلف ..

فى مصر الإجهاض جريمة تندرج تحت قانون العقوبات .

خمسة مواد كاملة من المادة ٢٦٠ إلى المادة ٢٦٤ .

وهو مرة جنايهة.. ومرة جنحة .

لكن لنعرف أولا : ما هو تعريف القانون للإجهاض ؟

المفاجأة .. أنه ليس هناك تعريف محدد .. ولكن بعض خبراء القانون يقولون إنه « استعمال وسيلة صناعية تؤدى إلى طرد الجنين قبل الولادة » .

وهو جنايه فى حالتين .. الأولى : أن يقوم شخص بإسقاط امرأة حامل بالضرب أو ما شابه ـ أو بأى أداة إيذاء عمدا. والثانية : إذا كان السقوط بمعرفة طبيب أو جراح أو صيدلى أو قابلة .

والعقوبة فى الحالتين هى الأشغال الشاقة المؤقتة .

إلا أنه يتحول من جنايه إلى جنحه فى حالة المرأة التى تقبل تعاطى الأدويه الخاصة بالإجهاض مع علمها بها، أو ترضى باستعمال الوسائل المؤديه للإسقاط ، أو تمكن غيرها من استعمالها على شرط أن يحدث الإسقاط .. وفى الحالتين العقوبة هى الحبس .

بناء عليه فإن القانون المصرى حدد شكل جريمة الإجهاض فى عدة نقاط إنه أولا يشترط الفعل المادى « أى وسيلة صناعيه لطرد الجنين قبل الميعاد » ثم توافر قصد جنائى، وبالتالى لا توجد جريمة اسمها «الشروع فى الإجهاض» . وإن كانت الجريمة تقع حتى لو لم يكن الجنين قد حصل على

نبض الحياة .. أى فى أى من فترات الحمل .. يستوى الأمر فى الشهر الأول كما هو فى الشهر الرابع .

المصدر : تقييم وضع المرأة فى مصر - مارلين تادرس ، ومجلة طبيبك الخاص العدد الأول عام ١٩٧٢ .

والواقع ان هذه أمور مُسلم بها فى مصر ..

لم يقربها أحد ..

وربما يشبه الاقتراب منها كما لو أنه إقدام على تعديل الدستور .

إن مجرد المحاولة تعنى إنقلاباً فى الأوضاع.

خاصة وأن الأمر يمس العقيدة .

ورغم ذلك فإن الضجة حول الإجهاض لم تتوقف فى مصر منذ سنوات طويلة ، خاصة منذ عرفت الحملة الكبرى لتنظيم النسل .. ولم يكن غريبا أن يخرج شيخ من حين لآخر حتى يعلن أن « الإجهاض حرام » .. ثم تأتى الدولة لتعلن من جانبها أنها لا تفكر فيه. حتى جاءت الذروة الدرامية باقتراب موعد مؤتمر السكان الذى يناقش موضوع القضاء على «الإجهاض المتعمد» .. وعندئذ وجدت جماعات الإسلام السياسى أن أمامها فرصة لتعيد الإعلان عن نفسها فصدرت الفتاوى من كل جدب وصوب ، ووصل الامر إلى حد أن جماعة «أنصار السنه المحمديه» أصدرت كتيبا يتضمن أغلب الفتاوى التى تحرم الإجهاض .

وكأن الناس قد نسوا .

ورغم أنهم لم ينسوا ، ورغم أنهم يعرفون، ورغم أن إصدار القرار بالإجهاض صعب للغاية فى مصر ، ورغم ان وسائل الهروب من عقوبة

القانون متوافره .. رغم كل هذا إلا أن الفتاوى لم تحسم الموقف بطريقة تامة ، خاصة وأن هناك جدلاً واسعاً حول حالة الجنين فى الأربعة أشهر الأولى .

□ □ □ □ □ □

« وأصل فتاوى الإجهاض » الحديث النبوى المروى عن ابن مسعود رضى الله عنه .. قال : حدثنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهو الصادق المصدوق ، قال : إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات ، ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح» .

«أخرجه البخارى ومسلم» .

والمعنى أن الرسول « صلى الله عليه وسلم » قال إن الجنين يمر بمرحلتين ، الأولى ليس فيها خصائص البشر ، وإن كانت فيها خصائص الحياة .. والثانية هى تلك التى يتشكل فيها « خلقا سويا فيه الصفات الآدمية » .

وأما مدة الأولى « نطفه فعلقة فمضغة » فتستغرق ١٢٠ يوما .

أى أربعة أشهر .. وهنا الخلاف .

هل الجنين هنا بشر أم أنه غير ذلك ؟.

وبالتالى هل يجوز إسقاطه ولا يكون ذلك قتلا، أم لا يجوز .

وأما فى المرحلة الثانية «الخمسة أشهر التالية» فلا يوجد خلاف أبدا، بل وصل الأمر إلى حد أن ابن عابدين قال «لو كان الجنين حيا، ويخشى على حياة الأم من بقائه ، فإنه لا يجوز تقطيعه، لأن موت الأم به موهوم فلا يجوز

قتل آدمى لامر موهوم» .. نقلا عن بحث الدكتور نعيم ياسين .. فى ندوة الإنجاب فى الإسلام التى عقدت فى الكويت عام ١٩٨٣ .

□ □ □ □ □ □

نترك المرحلة الثانية الآن .

ونبقى فى خلافات المرحلة الأولى .

إن الأمر هنا مفتوح للغاية .. من نقطة « الإباحة بدون عذر » .. وحتى نقطة « التحريم فى غير ضرورة » .. وبينهما الإباحة لعذر وإن لم يصل هذا العذر إلى مرتبة الضروره حيث اعتبروا من الأعذار حاجة الأم لشرب دواء، أو إنقطاع لبنها بالحمل ، وليس فى مقدور الاب استئجار مرضعة .

ونستعرض هنا تلك الآراء .

مع الوضع فى الاعتبار ملحوظة أساسية وهى أن الفقهاء الذين مازلنا نستفيد من آرائهم فى ذلك الموضوع كانوا فى عصر لا يعرف المناظير والأشعة التلفزيونية و « السونار » .

إننا إذن نقرأ آراء المرحلة التى يكون فيها الجنين بلا روح .

يقول فقهاء « المذهب الحنفى » لهم رأيان. الأول يبيح الإجهاض.. يقول الكمال بن الهمام فى كتابه « فتح القدير » : يباح الإسقاط بعد الحمل ما لم يتخلق شىء منه .. ويقول ابن نجيم المصرى فى كتابه البحر الرائق : إمرأة عالجت فى إسقاط ولدها لا تأثم ما لم يستبق شيء من خلقه .

ولكن .. نفس الفقهاء، الذين ينتمون لفريق الحنفيه، لديهم رأى آخر.. مناقض.. يحرم الإسقاط فى الأربعة أشهر الأولى، ومنهم الفقيه على بن موسى إمام الحنفيه فى عصره حيث يقول إنه يكره الإسقاط. «فإن الماء بعد

ما وقع فى الرحم ماله الحياة فيكون له حكم الحياة فى بيضة صيد الرحم» .

المالكية متشددون للغاية ..

جاء فى كتاب الشرح الكبير « لا يجوز إخراج المنى المتكون فى الرحم ولو قبل الأربعين يوما » .. ويقولون «إن للولد أحوالاً .. حالة قبل الوجود ينقطع فيه بالعزل وهو جائز، وحالة بعد قبض الرحم على المنى فلا يجوز لأحد التعرض له بالقطع من التولد كما يفعله السفلى من نفس الخدم عند استمساك الطمث بالأدوية التى ترخيه فيسيل المنى معه فتنقطع الولادة » .

وإذا انتقلنا إلى الشافعية إنتقلنا إلى حالة « الرأيان » مرة أخرى .

فهناك من يقول « يجوز إلقاء النطفة والعلقة » .. وهناك من يقول « هذا حرام ، لأن النطفة بعد الاستقرار آيله إلى التخلق المهيأ لنفخ الروح » .. ويقول الغزالى : « فأول مراتب الوجود وقوع النطفة فى الرحم فيختلط بماء المرأة فإفسادها جناية على موجود، فإن صارت علقة أو مضغة فالجناية أفحش فإن نفخت الروح واستقرت الخلقة زادت الجناية تفاحشاً » .

وأما الحنابلة فيميلون إلى الإباحة قبل بلوغ الجنين الأربعين يوما .

يقولون : « يجوز شرب الدواء المباح لإلقاء نطفة » .. و .. « لرجل شرب دواء مباح ليمنع الجماع ، ولانثى شربت لإلقاء نطفة لا علقة » .

المصدر : «الإجهاض وحكمه فى الإسلام ـ الدكتور توفيق الراعى» .

□ □ □ □ □ □

وإذا كان عمر هذا الخلاف مئات السنوات فإنه انعكس على عصرنا الحالى .. وعلى فتاوى مشايخ هذه الأيام .. ومن هنا فإن الخلاف مازال مستمراً، خاصة حول تلك المرحلة التى لا يكون للجنين فيها أى شكل من أشكال البشر .

ولننظر إلى انعكاس تلك الحالة على فتوى الشيخ محمود شلتوت .

يقول فى كتاب الفتاوى « واما إسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه .. وهو كما يقول الفقهاء لا يكون إلا بعد أربعة أشهر - حرام وجريمة لا يحل لمسلم أن يفعله، لأنه جنايه على جنين متكامل الخلق ، ظاهر الحياة ، قالوا : ولذلك وجبت فى إسقاطه «الديه» إن نزل حياً، وعقوبة ماليه أقل منها إن نزل ميتاً .

ولكنهم ..

كما يضيف .. الشيخ شلتوت :

قالوا إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه بعد تحقق حياته هكذا يؤدى لا محالة إلى موت الأم فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بإرتكاب أخف الضررين ، فإن كان فى بقائه موت الأم وكان لا منقذ لها سوى إسقاطه ، كان إسقاطه فى تلك الحالة متعيناً، ولا يضحى بها فى سبيل إنقاذه لأنها أصله، وقد استقرت حياتها ، ولها خط مستقل فى الحياة ولها حقوق وعليها حقوق !

وأضاف الشيخ الراحل : واما إسقاطه قبل نفخ الروح فيه .. أى قبل تمام أربعة أشهر .. فقد اختلفوا فيه فرأى فريق أنه جائز ولا حرمة فيه ، زاعماً أنه لا حياة فيه فلا جناية .. ورأى آخرون أنه حرام أو مكروه ، لأن فيه حياة النمو والإعداد .. ولكن علماء الشريعة يرون كما يرى علماء الطب أن مادة التلقيح ذات حياة ذاتية ، تخوض بها الميدان وتكافح فى سبيل الاتصال بهدفها «البويضة» حتى تعتنقها وتطرد منها من سواها .

ويوضح :

لعل العلماء الذين نفوا الحياة قبل نفخ الروح يريدون هذه الحياة

الظاهرة ، وهم فى نفس الوقت لا يفكرون أن المادة حية وأن حياتها تمكنها من الاتصال بماء المرأة «البويضة» .. ومن هنا نستطيع أن نقرر أن إختلاف العلماء فى جواز الإسقاط فى مبدأ الحمل مبنى على عدم التنبه لهذه الدقائق أو الإحاطة بها .. وإذن تكون المسألة ذات اتفاق بينهم على حرمة الإسقاط فى أى وقت من أوقات الحمل ، وللضرورات تقديرها وحكمها .

□ □ □ □ □ □

ولكن شيخ الأزهر كان له رأى آخر .

فهو يقول فى فتوى صدرت فى كتاب « الفتاوى الإسلامية » تحت رقم ١٢٠٠، أن من الأعذار المبيحة للإجهاض شعور الحامل بالهزال والضعف عن تحمل أعباء الحمل ، لا سيما إذا كانت ممن يضعن بغير طريقة الوضع الطبيعى ـ القيصرية ـ فهذا وأمثاله يعتبر عذرا شرعيا مبيحا لإسقاط الحمل قبل نفخ الروح دون إثم أو جزاء جنائى شرعى .

ومن جانب آخر أبقى الشيخ جاد الحق على الخلاف .. فترك المسلمين للآراء الأربعة التى تقول :

الأول : الإباحة مطلقا من غير توقف على وجود عذر، وهو قول فقهاء الزيدية ، ويقرب منه قول فريق فقهاء مذهب الإمام أبى حنيفة .. وإن قيده فريق منهم بأن الإباحة مشروعة بوجود عذر، وهو ما نقل أيضا عن بعض فقهاء الشافعية .

الثانى : الإباحة لعذر، أو الكراهة عند انعدام العذر ..

الثالث : الكراهة مطلقا وهو رأى بعض فقهاء مذهب الإمام مالك .

الرابع : الحرمة ، وهو المعتمد عند المالكية والمتفق على مذهب الظاهرية فى تحريم العزل .

وفى حين اتفق الشيخ مع جميع الفقهاء فى تحريم الإجهاض بعد نفخ الروح ، فإنه أيضا وافق على عدم التحريم فى حالة الضرورة التى يمكن أن تبيح الإجهاض .. ولكنه نقل الفتوى إلى اتجاه آخر عندما ، سأل نفسه عدة أسئلة حول التعقيم والوراثة .

قال لنفسه : هل يجوز التعقيم نهائيا ، بمعنى وقف الصلاحية للإنجاب لمن يثبت إصابته من الزوجين أو كليهما بمرض لإبراء منه وكان من خصائصه وسماته الانتقال بالوراثة ؟ .. وهل يجوز الإجهاض إذا اكتشفت عيوب الجنين الخطيرة التى لا تتلائم مع الحياة العادية ؟

وهل يجوز الإجهاض إذا كانت هذه العيوب يمكن أن يعيش بها الجنين بعد ولادته حياة عادية ؟ وهل يجوز الإجهاض إذا كانت العيوب يمكن علاجها طبياً أو جراحياً .. ثم هناك العيوب التى تورث من الأب أو الأم للأجنة الذكور أو للإناث فقط .. هل يجوز الإبقاء على السليم وإجهاض المعيب ؟

وما هى الإجابة إذن يامولانا ؟

يقول إذا وجدت ضرورة داعيه لتعقيم إنسان ، كان به مرض عقلى أو جسدى أو نفسى مزمن عصى على العلاج والدواء وهو فى نفس الوقت ينتقل للذريه بالوراثه جاز لمن تأكدت حالته المرضيه بالطرق العلميه والتجريبيه أن يلجأ إلى التعقيم الموقوت . لدفع الضرر القائم مثلا .. سواء فى الذكر أو الأنثى .

ويقول : وإذا كانت العيوب وراثيه أمكن لمنع انتشارها فى الذرية الالتجاء إلى وقف الحمل مؤقتا دون الحاجة للإجهاض .. وإذا ثبت ثبوتاً لاريب فيه أن بالجنين عيوبا وراثيه خطيرة لاتتلائم مع الحياة العادية وأنها تسرى

بالوراثه فى سلالة أسرته جاز إسقاطه بالإجهاض ما دام لم تبلغ أيامه الرحميه ١٢٠ يوما .

ويقول : يجوز إسقاط الحمل ولو نفخت فيه الروح في حالة إنقاذ الأم من خطر محقق ، وبناء على طلبها وبعد تقرير الطبيب المختص أن بقاء الحمل فى بطنها خطر على حياتها أو عند ولادتها .

□ □ □ □ □ □

وما دام الشىء بالشىء يذكر ..

وما دام الحديث عن الإجهاض فى مصر ..

وما دام عنصرا مصر هم المسلمين والمسيحين ..

فإننا نستمع بجانب رأى شيخ الأزهر إلى رأى البابا شنوده .

إنها فتوى - أو رأى دينى إذا جاز التعبير - عمرها ٢٢ عاما .

قال البابا : الكائن الحى يتكون منذ اللحظة الأولى، فالحيوان المنوى كائن حى، والبويضه كائن حى .. ينتج عنهما كائن حى متكامل .. والإجهاض بذلك عملية قتل لهذا الكائن. وهو قتل لأنه قتل لجنين ومنعه من نعمة الحياة، والمسيحية تحرم الإجهاض .. وهناك استثناء واحد «ربما» يسمح به إذا اكد الأطباء أن فى حالة ولادة الجنين لابد أن تموت الأم .. ومع ذلك حتى فى هذه الحالة ربما يحدث أن تنجو الأم والجنين بدون إجهاض .

«طبيبك الخاص - مصدر مسبق ذكره» .

والمعنى بالإجمال أن الفقهاء اختلفوا ..

وأن القوانين فى مصر تقول إن الاجهاض جريمة .

وأن الامر فى النهاية متروك لتقدير الطبيب ..

رغم كل تلك الضجه الدينية !

(٣)

علموا أولادكم الجنس والمضاجعة

☐ الإسلام غير المسيحية .. ولكن الجنس واحد فى كل مكان !

☐ الزعيم موسولينى والرئيس چونسون مارسا العادة السرية !

وفى ليلة الزفاف لم تفرز العروس دما .. ولم يجد العريس غشاءً يمكن أن يفضه .

وفى الصباح تم الطلاق .

وفى ليلة الزفاف انزعج الرجل من طول بظر زوجته .. ولم يعثر فى جسده على طاقة يمكن أن تلبى النداء .

وفى الصباح عادت العروس إلى بيت أمها .

وفى ليلة الزفاف تعامل معها بعنف وقسوة .. فانهارت وتألمت ونزفت ونامت كالجريحة .

وفى الصباح كرهت الجنس والحياة وزوجها .

فى كل الاحوال تلك حالات جهل .. وفى كل الأوضاع تلك هى المشكلة التى يعانى منها أغلب الناس فى مصر .. المرض الذى أصاب الجميع .. المرض الذى يقولون إن اسمه « الجهل الجنسى » .

إنه مرض عريق ، تاريخه طويل ، اختلط بمضى السنوات مع مزيد من المغالطات ، فأفرز الأساطير ، وأنجب الخرافات .. ظل مختفيا، محبوسا فى غرف النوم ، لا يعالجه أحد لأنه يقع فى منطقة العيب ، ولا يقترب منه شخص بدعوى أنه حرام .. ويهرب منه الجميع لأنه يثير الخجل .. ولهذا بقيت الأسئلة فى ذهن الأطفال والمراهقين والكبار معلقة .. لا تجد إجابة ولا يرويها علم .. فسقطت فى بحر الجهل .. وأصبح المرض مستقرا، يفشل دائما من يعالجوه ، فيصطدمون غالبا بدعاوى «الإباحية والحرية الجنسية» .

وأعراض المرض عديدة ..

إنها مثلا يمكن أن تظهر عندما يسأل طفل أباه «من أين جئت يابابا» ..

فيقول له وقد غطت الحمرة وجهه «وجدناك على باب الجامع» .. أو «جابتك العصفورة» .. هذه الأعراض تظهر أيضا عندما تتخلص أم من سؤال آخر يقول : « هل لابد أن يكون المأذون موجودا معك أنت وبابا حتى تنجبانى » .. فتجيب الأم « نعم » .. وهى أيضا تظهر عندما تظن الأسرة أن « الختان » عفة .. فتسحب الأنثى إلى أقرب داية .. وتظهر كذلك عندما يعتقد الرجل أنه لو تزوج من امرأة أخرى سوف ينجب ذكرا .. وعندما يظن أحدهم أنه «مربوط» .. وعندما يتصور آخر أنه يستطيع إجبار ابنه على الإقلاع عن العادة السرية لو وضع فى يده قفازا من الشوك قبل أن ينام !

تلك الحالة التى يصفها الدكتور عزيز خطاب ـ أستاذ أمراض العقم فى جامعة عين شمس بأنها « مسخرة جنسية » .. و « زبالة فكرية » . حتى إنه عندما كان يشرحها لى قال : كيف يتصور الناس ان هناك امرأة طلقت بدون سبب .. لماذا لم يعرفوا أن الرجل الشرقى غالبا ما يترك زوجته بعد أن يصل إلى ذروته الجنسية .. فتتألم ، وتشعر بمتاعب فى المبايض والظهر وتتأزم حالتها النفسيه لأنها لم ترتو .. فتثور لاتفه سبب وتضرب الأطفال ، وتتشاجر مع الزوج .. ويتصاعد الموقف .. ثم يحدث الطلاق » .

□ □ □ □ □ □

ولكن ..

ما الذى دفعنا لأن نذهب إلى الدكتور عزيز ؟

وما الذى جعلنا نقلب فى أوراق العيب والحرام ؟

وما الذى أجبرنا على الحديث عن الجهل الجنسى ؟

الاجابه بسيطة .

مؤتمر السكان .

لقد قامت الدنيا ولم تقعد .. وظن الناس أن قاعة المؤتمرات فى مدينة نصر سوف ترفع « الرايات الحمراء » عندما تستقبل المشاركون فى المؤتمر .. وأن الثورة الجنسية التى شهدها العالم فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات سوف تقوم من جديد .. وأن زعماء العالم سيوافقون على قرار يسمح للمراهقين بالانفلات ، ويسحب السلطة من الأبوين ، فيصبح من حق الصبية أن يمارسوا حياتهم الخاصة دون قيود .

وكان السبب عبارة من كلمتين اسمها « الثقافة الجنسية » ..

وكانت الكلمة غريبة .. جديدة على الأذن فى مصر .. ففسرتها جماعة الإخوان المسلمين على أنها «إباحية وفجور» .. وقال حزب الأحرار فى جريدته إنها دعوة للشذوذ .. وصرخ الشيوخ فوق المنابر بالمساجد ضد الذين ينتهكون حرمات الله .

ولو كان هذا التفسير صحيحا لكان من حق هؤلاء أن يتباكوا على الشرف .

ولو كان ذلك المعنى موجودا لكان من حق الإخوان المسلمين أن يندبوا عصر الأخلاق .

ولو كان ذلك الهدف قائما لكان من حق االأزهر الشريف أن يعلن كلمته صريحة فى وجه الجميع .

لكن المشكلة أن كل هذا غير صحيح أو موجود أو قائم .

والمشكلة أن هناك جهلاً عاماً .. أو هناك من يدعى الجهل، ويحاول توظيفه لخدمة أغراض السياسة .

غير أننا لا نستطيع أن نطلق الأحكام هكذا في الهواء دون مبررات .. وكان علينا أن نقلب الأوراق ، ونبحث فيها عن الموقف الصحيح .. وألا نوافق على موقف الحكومة التى هربت من المناقشة عندما قال وزير السكان الدكتور «ماهر مهران» في حديث تلفزيوني : لقد قلت لهم أكثر من مرة ليس هناك أى داع لأن تستخدموا تعبير الثقافة الجنسية .. أو الصحة الجنسية .. قلت لهم لا تهدروا قضية هامة وراء مصطلح يثير الحساسيه .. أسموها الثقافة السكانية .. أو الثقافة الفسيولوجية» .

وكأن الوزير نعامة .

وكأنه يضع رأسه في الرمال ويهرب من مشكلة موجودة ..

وكأنه يضع مكياجا للعلم ..

أما نحن فلا نفعل ذلك .. ولا نذهب للكوافير قبل أن نناقش العلم .

□ □ □ □ □ □

عام ١٩٨٠ .

إننا الآن في مدرسة إعدادية ..

وفي الحصة الثالثة من يوم دراسي شتوى ، اضطر الأستاذ «فكرى» مدرس الأحياء لأن يكتب على السبورة جملة لم يعتد كتباتها من قبل «لاحياء في العلم والدين» .. وكانت المناسبة شرح درس الجهاز التناسلي الذى تشجع هو وقرر أن يعلمه لتلاميذه ، بينما قرر كافة مدرسى الأحياء في المدرسة عدم التعامل معه بحجة أنه لا يأتى في الامتحان» .

قبل هذا بأعوام ..

وفي كلية الطب .. بجامعة عين شمس .

وفى إحدى المحاضرات وقف طالب ملتح يصرخ فى المدرج ضد أحد الأساتذة ، وكانت المناسبه أنه يلقى عليهم دروسا فى تعليم فن الجنس ، ويشرح لهم أهميتها فى الحياة .. لكن الأمر انتهى بأن أطلق المتطرفون على أستاذهم وصفاً قبيحاً فقالوا أنه « أستاذ الإباحة » .

وبين المدرسين الذين لا يدرسون ..

والطلاب الذين لا يتعلمون ..

تضخمت المشكلة .

حتى إننا رأينا فى عام ١٩٩٤ زوجة إسمها جميلة عمرها ٣٨ سنة .. تقول : أنا إتربيت فى جو صريح جدا ، ما حدش كان بيفرض عليا حاجة إلا فى حدود المعقول .. وكنت على وشك أن اتطاهر لولا تدخل خالى اللى تشكك فى صحة الطهارة .. فتراجعوا .. ولما جاتنى الدوره إفتكرتها تبول لا إرادى.. اما عن اللى بيحصل بين الراجل والست لما يتجوزوا فده ما عرفتهوش إلا متأخر خالص - رغم أنها درست الطب - فهمت كل حاجة قبل يومين من الدخلة .. حتى دراستى فى كلية الطب ماقدمتليش إجابات على الاسئلة دى .. واضطريت اسأل امى .. كنت مكسوفه جدا » .

إنها قصة واحدة من قصص عديدة سمعتها باحثات مصريات «الدكاترة عايدة سيف الدولة ، آمال عبد الهادى ، ناديه عبد الوهاب ، اثناء إعداد بحث ميدانى عن « الحقوق الإنجابية فى مصر » .

إنه نفس البحث الذى يتضمن أرقاماً وظواهر مثيرة للغاية .

مثلا : سألت الباحثات السيدات عن موقفهن من «ختان البنت» .

وكانت الإجابات خطيرة .. فقد قال ٦٥ ٪ منهن إنه «لازم» .. مقابل ٣٠٪ قلن إنه «غلط» .. بينما بقى ٥٪ فى موقف «لا أدرى» .

والخطورة هنا تكمن فى أن النساء اللاتى يتعرضن لأصعب المشاكل بسبب الختان هن اللاتى يوافقن عليه .. رغم أن ٥٧٪ منهن وافقن على أن «الطهارة تؤذى الست بعد الجواز» .

والخطورة أيضا تكمن فى تفاصيل الإجابات .

فقد سئلت السيدات: « ليه صح » ؟

فقلن : « لان هذه هى العادات والتقاليد » .

و« عملية تجميل » .. و« علشان البنت تفوق » .. و« علشان تفور بسرعة » .. و« علشان تبقى حلوة مع جوزها » .. و« علشان بعد الجوازت تتجاوب مع جوزها اكثر» .. و« علشان تهدى لحد ما تتجوز » .. و« علشان يحميها من الشذوذ الجنسى » ..

و .. و ..

لأن «ربنا أمرّ بكده» .

ورغم أن الله لم يأمر بهذا، إلا أن هذا جزء من الجهل العام ـ الذى جعل ربع نساء مصر يفضلن الزفاف على طريقة « الدخلة البلدى » .. بالتحديد «٢٧٪» .

طيب ليه ؟

« علشان الناس تشوف الشرف وترفع رأسى » .. و« علشان الناس ما تتكلمش » .. و« علشان دى عاداتنا » .. و« علشان ما حدش يستجرى يتكلم » .. و« لأنه ده له شنة ورنة وأحتفال » .. و« حفظ لكرامة البنت » .. و « راحة نفسيهتبعد كده وحريه حركة » .. و« منعا للشائعات » .

وربما تكمن كثير من هذه المفاهيم فى داخل كل منا ..

ليس هناك خطأ فى ذلك .. لأن أحدا منا لم يتعلم ..

والدليل ماحدث قبل مؤتمر السكان بعدة أيام ، وفى مدرج كلية السياسة والاقتصاد بجامعة القاهرة حيث كان هناك خبير مصرى فى الجنس يعلم ١٣٠٠ متطوع كيف يمكن أن يتعاملوا مع موضوعات المؤتمر .. حدث هذا خلال أربع محاضرات وزعت على ثمانى ساعات .. وكانت المفاجأة أن كل شاب من الحاضرين سأل سؤالا جنسيا، وأن الخبير خرج من المدرج وهو يحمل فى حقيبته مئات من القصاصات التى تستفسر عن أدق تفاصيل الحياة التى نسميها بالسريه .

وقد كان هذا الخبير هو رئيس « البرنامج القومى للثقافة السكانية » الذى يعمل فى هذا المجال منذ ٣٠ سنة ، ورغم ذلك فإن اسمه غير معروف إلا للقلائل ، بينما مؤلفاته فى كل مكان تحمل اسم «الدكتور عزيز خطاب» .

وقد قابلته بعد وقت قصير من ال ١٣٠٠ سؤال فقال لى : إننا نعانى من الأمية الجنسية التى تسبب المعاناة اليومية دون أن ندرى .. وكيف يمكن أن يتعامل الرجل مع المرأة .. وكيف يجب أن يدرس حديث النبى «صلى الله عليه وسلم» الذى يقول معناه : لا يخرج الرجل قضيبه من فرج زوجته حتى ترتوى .

وقد كان الكلام هادئا .. لكن الدكتور إنفعل : « إنى أتساءل ما المانع فى أن نثقف أنفسنا ، ونعلم أطفالنا حتى ننجو من أمراض سريه عديده .. بلاوى زرقا .. الزهرى .. القرحة الرخوة .. السيلان .. طاعون الدم .. مساوىء طبية بلا حل ».

ومن المثير أن الدكتور عزيز كان يقول هذا الكلام، بينما كان هناك من

يتهم وزارة التعليم بأنها تدبر مؤامرة على الأخلاق والدين .. كان هناك من ينادى بتدريس الجنس فى المدارس والعلم والتقدم ، وكان هناك من ينادى بالجهل .. عن غباء .

□ □ □ □ □ □

ونقف قليلا مع الفريق الأخير ..

إنه الفريق الذى أوهمنا بأن القاهرة داعرة .. ترفع الرايات الحمراء .

وهو فريق مكون من مجموعة من المدرسين والموجهين التابعين لتيارات دينية متطرفة ، يفزعون إذا سمعوا كلمة أنثى ، ويصابون بالرعب إذا رأوا إمرأة، يهددهم الهاجس الجنسى بشكل دائم ويتعاملون مع الرسوم على أنها أجساد، ومع الصور الفوتوغرافية على أنها سوف تقود للسرير .. يعانون من قصور فكرى يدفعهم لأن يصدروا كتباً ضد المناهج ويصرخون : كيف السبيل لإنقاذ هذا الجيل من الضياع !

وأماهؤلاء فهم الإخوان المسلمون .

وأما الصراخ فقد قرأته فى سلسلة كتب أصدرتها «الجماعة» تحت عنوان «المؤامرة» .. وبجانب «الصراخ» كانت هناك رسوم ، اعتبروها جنسية رغم أنها كانت مجرد خطوط تصف تشريح جسم الإنسان، مكتوب بجوار كل جزء منها اسمه بالإنجليزيه .

«هذا إفساد خلقى» .. هكذا قالوا ..

وهكذا أضافوا : أخى القارىء ، أختى القارئة .. أنقذوا أبنائكم ، لقد اضطررنا لنشر الصورة المرفقة علما بأن السوأه فى كليهما كانت مكشوفة تماما وقد وضعنا عليهما ما يسترها حفظاً للحياء .

وهكذا فإننا نتوقف لنحمد الله على أن ألهم هؤلاء ستر عورة الرسوم. لكننا نمضى مع الأفكار العرجاء حتى آخرها :

«المشكلة أن القاموس يبقى فى يد الطالب ثلاث سنوات ، والافساد الخلقى فى هذه الصورة متعمد مقصود بدليل أن المؤلف أحال القارىء إلى هذه الصورة ٥٦ مرة .. وكان يمكن أن توزع هذه الصورة على صفحات مختلفة حتى لا تقع عين القارىء فى كل مرة على هذه الصورة السيئه» .

والمعنى انه إذا أراد القاموس أن يشرح كلمة ذراع فإن عليه أن يرسمه، ثم يكتب كلمة *ARM*

ولكن الكتب التى تدافع عن الأخلاق لم توضح ما إذا كان من الأخلاق أن يرسم قضيب الرجل أو فرج المرأة ويكتب معناهما بجوراهما أم لا ؟!

فى الفريق المضاد تقف أيضا السيدة صالحة عوض المشرفة على معهد تنظيم الأسرة بالاسكندرية وتهاجم من يعادون دعوه نشر الثقافة الأسرية .. تقول : هؤلاء لا يعرفون شيئا، يدفعون الشباب للبحث عن المعلومات فى شرائط البرنو وكتب الأرصفه التى سوف تصل بهم إلى الانحراف لامحالة .

والواقع أن المعلومات الجنسية الزرقاء متاحة أمام الجميع. تباع فى الشوارع، إلا أنها فى الأغلب غير سليمة .. توزع على الأرصفة لكنها شنوذ .. يعرف بها الجميع ، لكنها تتداول سرا .. رغم أنها موجوده فى محلات شرائط الفيديو وعلى سور الأزبكية وعند باعة الكتب القديمة .. هنا تجد أفلاماً عن مضاجعة الحيوانات والرجال للرجال .. وهنا تجد كتباً صفراء تبيع وهم تعليم الجنس .. وبقايا المجلات الأوروبية .

بل إن الامر وصل إلى حد أن الأوضاع تطورت فصارت هناك ديسكات

كمبيوتر للأوضاع والمعلومات الجنسية تبدأ بالالعاب التى تنتهى بحصول صاحب الكمبيوتر على قبلة من فتاة ساخنة إذا فاز .. وتنتهى ببرنامج به مائة نقطة عارية واسمه «شوكس» .

«روز اليوسف ـ العدد ٣٣٨٥» .

وتقول صالحة عوض : إن الناس يخجلون من هذه الموضوعات رغم أنها هامة وضرورية للغاية .. ثم لماذا يعترضون على أن يدرس التلاميذ فى المدارس وظائف جسم الانسان .. تماما كما يتعلمون وظائف الدورة الدموية وقالت أيضا : إن الذين يتحدثون الآن عن دعاوى الإباحية لا يعرفون أن الثقافة الأسرية موزعة بالفعل على مناهج التاريخ والجغرافيا والأحياء والدين .. وغيرها .. ولكن أحدا لا يعرف .

□ □ □ □ □ □

ولا تحتاج الفكرة إلى براهين عديدة ..

وإن كنت أفضل أن نبرهن ..

ولنعد إلى الدراسات النفسية المنتشرة فى مصر منذ سنوات طويلة قبل مؤتمر السكان ، وحتى قبل أن يظهر واحد يحرم ما أحل الله .. ومنها دراسة الدكتور يسرى عبد المحسن عن أخلاقيات الجنس بين الرجل والمرأة ويقول فيها : إن من حق الطفل أن يجد إجابة شافيه ومقنعه لأى معلومة جنسية يريد أن يحصل عليها ، بشرط أن تكون مناسبة لعمره وكافية ، وتجعله فى حالة اطمئنان .. وإلا فإنه سوف يلجأ إلى معرفة خاطئة غير مدروسه .. تدفعه فى المستقبل للأمراض الجنسية .

ويقول كذلك :

من حقه أن يعرف منذ نعومة أظافره ما هى العلاقة بين أبيه وأمه ..

وأنها علاقة خاصة جدا، قائمة على الحب والتعاطف والولاء .. وأن هذه العلاقة لن تضر علاقته بأمه .. وأن وجوده فى الحياة تم عن طريق الأب والأم بفضل قدرة الله سبحانه وتعالى ..

فإذا ما وصل الطفل إلى سن السادسة يا دكتور ؟ .

يقول يسرى عبد المحسن : يجب أن يعطى جرعات ثقافية جنسية متدرجة متناسبة مع عمره ، متوافقه مع طبيعة دراسته .. فإذا ما درس فى البداية معلومات بسيطة عن الطبيعة والأحياء يجب أن يعرف أن هناك نوعا من العلاقة الجسدية بين الوالدين التى ينشأ عنها تكوين الجنين فى النهاية .

وفى الواقع فإن هذه المعلومات التى يرى البعض أنها «إباحية» موجوده بالفعل فى المدارس .. ولكنها لا تدرس بسبب حمرة الخجل التى تغطى وجوه المدرسين عندنا تأتى هذه السيرة «العيب». والدليل ليس فقط إعتراف المدرسين بذلك .. ولكن أيضا بحث أجرى بمناسبه مؤتمر السكان على عينه من ٦٠٠ طالب جامعى، حاول أن يرصد ماهى المعلومات الخاطئة عندهم عن الثقافة الاسريه. وكانت النتيجة أن معلوماتهم فى الحضيض .. وأنهم يطلبون تدريس الجنس لهم ولامثالهم فى البيت والمدرسنه والجامع والتليفزيون .

وتقول صالحه عوض : إننا نعقد ندوات كثيره ونفاجىء بالاسئلة التى نتلقاها كل يوم .. وهى تبدأ بالحديث عن الشذوذ وعن العاده السريه وعن الخوف من الضعف الجنسى وعن الايدز والرعب من الامراض .

وقالت كذلك : إن الظواهر موجودة فى مصر .. صحيح أنها غير منتشره والحمد لله .. لكننا يجب أن نثقف الناس حتى لا نفاجىء بحالة من اللاأخلاقيات والمشاكل الجنسيه فجأة .

وفى الواقع فإن هذه المشكلة قائمة بالفعل ..

وإليكم أدلة جديدة ..

عبير فتاة عمرها ١٨ سنه .. اتجوزت من سنة كما تقول فى أحد أبحاث مؤتمر السكان .. جوزها رجعها بيت أهلها يوم الصباحية ، لأنه اكتشف إنها مش متطاهره .. وقال لأمها : طاهرى بنتك زى الناس وبعدين إبقى جوزيها .. واضطرت الأم لأن تختن الابنة .. وتقول عبير : جت الدايه .. وكانت حكايه أمام الجيران .

وإلكيم قصة مناقضه .

حنان .. تزوجت من « واحد كويس وكسيب .. لكن كل ليلة يرجع عاوزنى .. ولما أكون تعبانه يضربنى ، ويقول انت مش ست ، الدايه جارت عليكى .. ثم يضربنى ، ثم ينام معى برضه .. ويقول لى ده حقى .. ويشتمنى » .

وتنهى حنان الكلمة : أنا عارفة إنه لازم يتجوز واحدة ثانيه عليا .

ومن بين القصص كذلك التى تروى كل يوم قصة ذلك الشاب الذى أدمن العادة السرية ، حتى إنه صار يخشى الموت .. أو على الاقل العجز الجنسى وكثرة أسئلة العادة السرية فى مصر توحى فى الواقع بأمرين .. أولهما أن أحداً لم يقدم الحقيقة العلمية فى هذا الأمر .. والثانى أن هناك مشكلة زواج حقيقية فى المجتمع .. ويقول الدكتور كمال مرعى : إن العاده السريه ليست خطيرة .. يمارسها الشاب والشيخ .. الوزير والخفير .. بل إن الزعيم موسولينى مارسها ، والرئيس الامريكى جونسون .. ويستوى فى ذلك الفنانون والرياضيون والأطباء والمهندسون .. الجميع يمارسها فى صمت .

□ □ □ □ □ □

وهل هذه دعوة للانحراف إذن ؟

هل هى دعوة للإباحية ؟

وهل نتورط نحن فى ذلك ؟

الإجابة هى النفى بالطبع ..

وإنما هى دعوة للثقافة ، للقضاء على المشكلات الصامتة التى تحدث دون أن ندرى لها سبباً .. ويقول الدكتور عزيز خطاب : إن الجنس فى الدين .. ويقول الله تعالى « فاتوا حرثكم أنى شئتم » .. والمعنى فى أى وضع وليس فى أى وقت .. وفى نفس الوقت يدعو الإسلام للحب والتعاطف بين الزوجين .. فهو يقول فى القرآن «وجعل بينهم موده ورحمة» .

إن هذا هو الذى ندعو لأن يعرفه الناس ..

□ □ □ □ □ □

وهذا هو ما دعت إليه بعض أوراق مؤتمر السكان .. خاصة ورقة المنظمات غير الحكومية المصريه التى عرضت على المؤتمر .. وقد قالت : إننا نهتم بالثقافة الأسرية بمعناها الواسع من الطب والتشريح ووظائف الأعضاء إلى الاقتصاد وعلم النفس والانثربولوجى إلى العلاقات الإنسانية والجنسية والدين والأخلاق والتوجيه والعلاج النفسى.

وأضافت : لقد أجرينا بحثاً ميدانياً على عينة ممثله من طلبة الثانوى والجامعة وثبت أن هناك حاجة لإعداد برامج تثقفية للأمهات والمعلمين والشباب حول موضوعات الثقافة الأسرية والجنسية .. وفى حين يقولون أن تلك دعوة للإباحية تقول ورقه الجمعيات : هناك إتفاق على أن الممارسات الجنسيه تختلف باختلاف الثقافة والدين .. ولكن علم الجنس واحد فى كل مكان .. وإن كان لكل إنسان فلسفته التى تنبع من الأسرة والمجتمع والدين.

وبعد فإن تلك هى الثقافة الأسرية كما يفضل أن يسميها الاجتماعيون.

أو الثقافة السكانية كما تطلق عليها الدولة رسمياً .

أو الثقافة الجنسيهكما يطلق عليها الأطباء .

فإن كانت تلك هى الإباحية .. فأهلا بها ومرحباً .

(٤)

.. مصر ..
١٦ سنة من الإباحية !

□ شيخ الأزهر يخشى « تفتح عيون الأطفال » منذ عام ١٩٧٨

□ الملك فاروق تعلم الجنس من الحاشية والخدم فصار عاهراً

لو أن المناقشة تعنى الإباحية ..

ولو أن الكلام يعنى الحريه الجنسيه ..

ولو أن الكتابه تعنى الفجور ..

لو أن كل هذ صحيح لكان عمر «الإباحية» فى مصر ١٦ عاما .

هذه السنوات هى عمر المناقشة التى دارت فى القاهرة قبل أن يعقد مؤتمر السكان بأعوام طويلة .. والطريف أنها مناقشة اشترك فيها الجميع من شيخ الأزهر الإمام الأكبر عندما كان مفتيا للجمهورية ، وحتى أساتذة الطب والجامعات والشخصيات العامة .. وإلى القمص بولس باسيلى .

كان السؤال هو .. هل ندرس الجنس فى المدارس والجامعات ؟

وكانت الإجابة فى عدد خاص من مجلة «طبيبك الخاص» .. وكانت المناقشة عباره عن ١٣ مقالاً .

وكان مبدأ المناقشة هو « أن الجنس عنصر أساسى فى حياتنا » .. وأن « أغلب ما يقدمه الآباء والأمهات هو بعيد عن المنطق والعلم والطب » .. وأن « أكثرنا إن لم يكن كلنا يتغاضى أحيانا عن أسئلة الأبناء والبنات ويهرب منها أحيانا أخرى » .

والطريف أن صاحب الموقف الأكثر تشددا ـ على ليونته حينئذ ـ الوحيد هو الشيخ جاد الحق على جاد الحق .. مفتى الجمهورية الذى أصبح شيخا للجامع الأزهر فيما بعد. فى ذلك الوقت كان صوته هادئا للغاية ، خاصة وأنه لا توجد جماعات متطرفه تسانده ، أو جماعة إسمها «الإخوان المسلمين» يمكن أن تطلب منه اتخاذ موقف واضح ضد إباحية الحكومة ..

فى ذلك الوقت كان الإمام الأكبر مفتيا .

وكان الرئيس هو أنور السادات ..

وكانت الجماعات المتطرفة هادئة مثل جمر تحت نار رماد الجامعة .

ولهذا مضى الحوار وكأنه لم يبدأ .

لندع الآن رأى الشيخ جاد الحق جانبا .. وسنعود له فيما بعد .. كما سنعود إلى رأى القمص لويس باسيلى .

غير أننا نبدأ بأفكار الكاتب الكبير الراحل فكرى أباظه .

كان مدخله أخلاقيا ، « فالتعليم الابتدائى والثانوى والعالى جمع بين ذكور وإناث فى مدرسة واحدة ومعهد واحد .. وتم الاختلاط بعد عراك طويل بين المحافظين والعصريين » .

ثم ..

« أما وقد حكم الواقع والتطور بهذ واختلط الحابل بالنابل فقد وجب على المسئولين الاحتياط الدقيق الذى قضت به الحياة الجديدة » .

إنه منطق « الاحتياط واجب » !

وقد وزع فكرى أباظة مسئولية هذا «الاحتياط الواجب» على أربعة جهات..

أولها البيت ..

ومضى يشرح بنفس المنطق الأخلاقى .. « وفى البيت يجب أن تتوفر القدوة .. والذى يحزن أن سلطان الأب والأم انحرف ، ولذلك لن تجد فى البيوت سيطرة كاملة من الآباء والأمهات .. كلاهما مشغول .. والحضانة هى التى تلعب الآن دورهما » .

ولكن ..

« أين هى دور الحضانة التى تحمى ملايين الأطفال » ؟!

سؤال وجيه ، قاد فكرى أباظه للجزء التالى :

الحديث الآن عن المدرسة : « ولكن هل تسعت المدرسة ووقتها لكل هذا الجيش من الطلبه والتلاميذ بحيث يجب أن يضيفوا وقتا آخر لتدريس مادة الجنس .. إن الذى نعلمه هو أن حالة المدرس هى الحالة "ج" ، .. وبالتالى فإنها تفشل كما فشل البيت » .

إلا أنه يعود للمدرسة عن طريق الدين .

يقول : « الدين هو المعلم الأول الذى يعالج مشكلة الجنس ، خاصة وأنه فى جميع الكتب المنزلة شرح لذلك بشكل طيب .. ولعل الموضوعات المحرمة والغير محرمة تصل وتستقر فى نفوس الطلبه فى جميع المستويات .. بحيث يدرسون فوائد الحمل الحلال وكوارث الحرام ».

ثم نأتى إلى المسئول الرابع عن « الاحتياط الواجب » .. الدولة ، وفى إطارها وسائل الإعلام .. لكنه فى النهاية يقول : « إن التعليم شئون وشجون ، والجنس يجب أن يكون مادة أصلية وواجبة شأن باقى مواد التعليم » .

فى ذلك الوقت لم يتهم فكرى أباظة بالإباحية ..

ولم يتهم بها أيضاً الدكتور مصطفى الديوانى الذى قال : لماذ نخدع أنفسنا ونحرم ما أحله الله ؟!

كيف يا دكتور ؟!

ببساطه .. لأن « آفه الشرق خجل فى رياء، وعلته التعلق بالقشور دون جوهر .. يوارى ويدارى حتى يسقط فى الميدان صريعا أو جريحا .. ومثلنا

الحى ذلك الفلاح الذى يقتل ابنته لو شك فى سلوكها ثم لا يستنكف أن يزف آخر إلى أهل القريه بشرى منديل دمها الأحمر القانى فى يوم زفافها » .

وما معنى هذا ؟

معناه .. « أن الخطأ فينا » ..

وأن الدين الإسلامى يقول انه لاحياء فى الدين ، فهو يحوى تفصيلات شاملة عن العلاقة الجنسية والزوجية ، من الزواج إلى الحيض والنفاس والجنابة .. كلها مفصلة تفصيلا رائعا فى أسلوب سماوى يوحى بالخشوع .. دون أن ينبه الغرائز التى تخشاها طائفة المترددين من علماء التربية » .

إذن ..

« الخجل هو أول أسباب التردد .. والثانى هو الجهل ، والثالث هو ذلك الاعتقاد السائد بأنه يجب تأجيل عملية التثقيف الجنسى إلى أبعد حد، لأن البعض يعتقد أن الجهل بتفاصيله دليل على البراءة .. بينما العلم به دليل سوء الخلق .. والطفل بين هذا وذاك حائر، يبحث عن معلومة سليمة من أب أو مدرس .. أو من أصدقاء وخدم يولدون لديه فكرة سيئة مشوهة عن الجنس».

مره أخرى ماذ تقصد يا دكتور مصطفى ؟

يجيب : المعنى أن الصراحه فى الجنس هى التى تنقصنا لتنضج نفوسنا وتتهذب .. خاصة وأن فى التثقيف الجنسى وقاية لنا من كثير من شرور الحياة. ولم تندم أمة قط أباحت الصراحة الجنسية لعلمائها وكتابها يتحدثون بها إلى أفراد لشعب».

ثم « إن القرآن الكريم يتحدث عن جميع مشاكل الجنس والزواج فى

صراحة وتعمق بليغين .. فلماذا نخدع أنفسنا ونحرم ما أحله الله فى كتابه الكريم » .

□ □ □ □ □ □

إنه سؤال وجيه آخر ..

إجابته أعلنت قبل أن تتغير الدنيا فى مصر ..

وقبل أن تتقدم السنوات وتتأخر الحريات ..

وتزداد الحواجز والقيود ..

ويحصل المحافظون أصحاب الرؤوس الخشبيه على مزيد من المكاسب .. فيصبح أى حديث عن الثقافة الجنسية - فى رأيهم - دعوة للإباحية.

واليكم رأى جديد ..

رأى سعاد أبو السعود التى كانت أمينه للتنظيم النسائى فى ذلك الوقت: التوعية لن تكون فى مجال واحد .. بل فى جميع القطاعات .. وإذا أردنا نشر التثقيف الجنسى فإن هذا لا يجوز بحال أن يقتصر على المدارس والجامعات .. بل فى إطار حملة متكاملة فى إعلامنا بوسائلنا الثقافية المختلفة ..

لماذا ؟

« لأننا لا نريد صراعا فى المجتمع .. يجب أن يتقبل الجميع الفكرة .. حتى لو كان محور الصراع نفسياً معنوياً .. فالثقافة الجنسية ضرورية ولكن فى إطار عديد من المقومات الاجتماعية الهادفة لتغيير المجتمع حتى يصبح أكثر وعياً » .

والخلاصه .. « إن المطلوب خطة طويلة المدى للتثقيف الجنسى للمجتمع

كله » .

كان هذا من زمن طويل ..

ذلك أننا لم نزل نقلب فى أوراق الماضى ..

حيث اتجهت المناقشة إلى نقطة أخرى ، فى مقال للدكتور سعد الدين فؤاد - وكيل أول وزارة الصحة « سابقا » : « تعليم الجنس ضرورى بالطبع حتى نقضى على حالة عدم الدراية التى تسبب للأم متاعب وخلافات زوجية وطلاق وانحراف وشذوذ .. ومآسى لا حصر لها » .

ولكن المطلوب .. أولا هو الحذر والحيطة ، والرغبه فى الوصول إلى الحقيقة بدون إسفاف أو إسراف أو إثاوة أو بعد عن العلم والموضوعية .. والمطلوب فى الواقع أن يعلم الآباء والأمهات بالخصائص والحقائق قبل أن يشرحوها ، وأن يعرفوا ما الذى يجب أن يقال ومالا يقال .. بحيث يصل الأبناء إلى الحقيقة بدون لف أو دوران أو سوء فهم أو غموض ..

وبالتالى ..

« يجب أن يكون أيضا المدرسون على نفس المستوى ، وتدريبهم بشكل جيد ، وهكذا فإن المطلوب فى رأيى أن نبدأ وأن نكون جادين على أن يتم ذلك فى إطار ضيق نحكم عليه أولاً بموضوعية .. فنصل إلى التقييم الحقيقى ونقضى على أراء المتشككين والرافضين والمترددين » .

ولم نبدأ ..

ولم نكن جاديين ..

ولم ننفذ التجربة فى إطار ضيق ..

ولا حتى فى إطار أضيق من الضيق !

وعندما طرحت من جديد رفعت رايات الفجور !

لكن علماء الطب مازالوا على موقفهم .. يصرون على تلك الدعوة ، خاصة وأن عياداتهم تستقبل فى كل يوم المشاكل التى يسببها الجهل الجنسى .. إنهم يضعون أيديهم بشكل دائم على نبض المجتمع .. يعدون أنفاسه ومآسيه .. ويرصدون متاعبه وآلامه .

وقد كان الألم موجودا عندما قال الدكتور عبد الله إبراهيم أستاذ الامراض التناسلية بجامعة القاهرة : والجنس هو حجر الزاويه الذى تدور حوله كثير من وظائف الجسم .. إن لم يكن من أهمها .. فهل يمنع الإنسان من أن يتعلم كيف يأكل مثلا .. صحيح أن كل وظيفه فى الجسم تنمو بشكل تلقائى، ولكن أليس من حق الناس أن يصقلوا هذه الوظيفة ويطوعونها بالطريقة المثلى ؟!

سؤال وجيه ثالث !

يقول الدكتور عبد الله فى ورق أصفر قديم أكل عليه الدهر وشرب : « لو لم يحصل الإنسان على المعلومة الجنسية من مصدرها الصحيح سوف يلجأ إلى طرق ملتوية كثيرة ، ثم يسأل من هم ليسوا أهل خبرة .. فيؤدى ذلك إلى عواقب وخيمة .. وليس أدل على ذلك سوى قصة الملك فاروق الذى تعلم الجنس من الحاشية والخدم ، فترتب على ذلك مغامرات وشرور » .

ويقول كذلك : إن بعض المتزمتين يلقون باللوم على من ينادى بتعليم الجنس ، ويقولون إن ذلك بعيد عن الذوق ، ويخرج على تقاليد الأخلاق والآداب ..

وما وصف هذا يا دكتور ؟

«إنه جهل وجمود رأى وضيق أفق.

ولو أننا منعنا تعليم الجنس فعلنا كمن منع تعليم الرمايه خشية أن يقتل الشباب بعضه البعض .. بينما هى وسيلة دفاع عن النفس والوطن .. ولو أنك اشتريت لطفلك لعبة غالية أليس من الحرص أن تعلمه كيف يتعامل معها بالطريقة الصحيحة حتى لا يفسدها .

على هذا يجب أن يكون الأمر واضحاً وضوح النهار، فالشدة والضغط والوجه المكفهر عند السؤال عن الجنس يمنع الشباب من السؤال والاستماع للمصادر الصحيحة .. وإذا تركنا فترة المراهقه والشباب بدون علم فإن المشاكل سوف تظهر بالفشل ليلة الزفاف .. بسبب عدم الدراية بالأعضاء التناسلية .

وإليكم رأى طبيب آخر - اسمه الدكتور مصطفى إسماعيل أستاذ الأمراض النفسية فى طب عين شمس : « إن بعض الشباب يتخيل أنه يعانى من نقص شديد فى رجولته بسبب المعلومات الخاطئة أو التخيلات الغير صحيحة .. وبعضهم يجهل ، فيخجل ، وينطوى .. ويستقبل - أو تستقبل - بلوغه بخوف ورعب » !

□ □ □ □ □ □

سيكون من الإفراط أن نضيف المزيد من تلك لمناقشة .

وسيكون من التأخير أن نؤجل معرفة رأى الدين فى تلك المناقشة «الفاجرة» التى جرت فى مصر قبل ١٦ عاما .

لنبدأ بالقمص لويس باسيلى .

« إن الجنس ليس فتنة » .

هكذا قال .. وهكذا أضاف : « لو لم يروض الشباب غريزته الجنسية سوف تركبه. وتمتطى عرش رجولته، فيمسك به سلطان الشهوة الجبار، فيقود سفينته إلى الدمار وبئس القرار » .

من قال إنه فتنة .. إنه حقيقة لا يجب أن نغفلها .. إنه عطيه من الله، وما من شك أن الحياة العائلية أو الاجتماعية تنشأ من الإحساسات والدوافع الجنسية .

دعونى ـ هكذا يكمل القمص باسيلى ـ أعود لكلمة قالها الفيلسوف سميث: حتى فى عصر العلم والنور يريدون منا أن نضحى بالحقيقة على مذبحة الخجل والجبن ، لم تكفهم الأضرار الجسيمة التى لحقت بنا بسبب الجهل .. دعونا نحل عقدة ألسنتنا ونطلق الحرية لقلمنا ، وإلا فأوجدوا لنا منفساً !

ومن هنا فإن القمص باسيلى يرى أن عدم اهتمامنا بتلقين أبنائنا علوم الجنس فى المدارس والجامعات جعلهم يفهمونه بشكل خاطىء، يعتبرونه مجرد إشباع شهوات .. الجنس عندهم مرض .. وبات الطالب فى مدرسته مذهولاً لا يشعر بمن حوله .

ومن أدلته : كتاب وصفه طالب فى جامعة باريس عنوانه « الطلبة والنساء فى الحى اللاتينى » .. وهو مؤلف مزعج يصور عنف الجنس وتحكمه فى الشباب الذى يفد إلى الحى اللاتينى مشبعاً بالفهم الخاطئ فيسقط فى الهاوية .. حتى يبيع بعضهم ملابسه وكتبه ثمنا لساعة رقص أو فجور.

ويقول أيضا : نعم .. سندرس الجنس فى مدارسنا .. لأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق ولأنى أذكر قصة فتاة قالت ذات مرة فى إحدى الصحف : كنت فى السينما مع صديقتى ، ولما أخذ البطلة بين ذراعيه وقبلها إنتفضت من فرط النشوة ولبست شخصية البطلة واندمجت فيها .. وعند خروجى كنت متهيئه لصحبة أى شاب يلعب دور البطل .

والان ماذ عن رأى شيخ الأزهر :

يقول « ماذا يعود على أولادنا من فائدة هذه الدراسة ؟ » .

لقد كان الوحيد الرافض، عملا بقاعدة درء الفاسد .

ويشرح رأيه قائلا : الإسلام يحث على العلم وطلبه والجد فيه .. وليس أدل على هذا من أن أول ما نزل فى القرآن الكريم قوله تعالى : « إقرأ ......» وقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى تعلم العلم وتعليمه فى أحاديث غفيره .

ولكن ماذا نعلم أولادنا ؟

السؤال منه .

والاجابة منه كذلك !

يقول: يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « علموا الصبى الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر » .. ويقول : « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » .

وفى رأى الشيخ جاد الحق أن العلم المقصود بالتعليم فى نظر الإسلام هو العلم النافع لحياة الإنسان نفعا روحيا أو ماديا .. فهل تدريس الجنس فى الجامعات والمدارس يدخل فى نطاق العلم النافع.. وهل نفعه يقل عن ضرره أو يزيد عليه ؟ ماذا نبغى من تعليم الجنس وما هية هذا الجنس؟

سؤال وجيه رابع ..

فكيف كانت الإجابة .

إذا أردنا بالجنس تدريس علم وظائف الأعضاء التناسلية وتشريحها فأظن أن هذ واقع فى المناهج المختلفة فى مراحل التعليم فى دراسة النبات

والحيوان وطرق التلقيح والمحافظة على النوع وتحسينه .. وفى كليات الطب يتخصص فريق من أولادنا فى فرع التناسليات لهدف مستساغ ومقبول شرعاً .. وهو العلاج ولامشاحة فى إباحة هذه الدراسه المتخصصه لأن الضرورات تبيح المحظورات .

وإذا كانت أعضاء التناسل فى الذكر والأنثى من العورات التى أمر الإسلام بسترها عن الأنظار والبعد بها عن الوضوح والظهور وعدم كشفها للغير إلا لضرورة .وهذه الضروره تقدر بقدرها .

أما إذا أردنا بتدريس الجنس فى الجامعات والمدارس تدريس طرق مباشرته فلننظر أولا فيما يعود من فوائد على أولادنا من هذه الدراسة أو يلحقهم من مضار فإذا غلبت االفوائد كان تدريسه مباحا وإن غلبت المضار كان حراما.

وفى رأى الشيخ أن هذا بلا نفع، خاصة فى سن فورة وثورة الجسم وغرائزه بالمراهقة .. ويقول : وقد يقال إننا سنعلمهم طرقا سليمة يمنعون بها أنفسهم ، فيكونوا على بصيره من الأمر حتى لا يلحقهم النفور فى سن مبكرة ويحدث النفور بين الأزواج إذا ما تزوجو بدون دراسة العمل الجنسى.

وفى المقابل ـ وحسب رأيه أيضا ، فإن هذا قد يؤدى إلى إثارة الغرائز ، وصرف الأبناء عن العلم المفيد ، ودفعهم إلى التحلل من القيم الفاضلة، ومقومات الدين والأخلاق ، وانسلاخهم من فضيله الحياء التى تعصم الشباب .

لقد بنى الشيخ رأى فضيلته على قاعدة «درء المفاسد أولى من جلب المنافع».

وبنفس المنطق والقاعدة فإن التعليم فى المدارس أجلب للمنافع وأدرأ

للمفاسد والدليل أنه فى سنوات خلت من تلك الثقافة ـ وبعد تلك الفتوى انتشرت الظواهر غير الأخلاقية، وسمعنا عن أبناء يضاجعون أشقاءهم ، وامتلأت الشوارع بأشرطة الفيديو الزرقاء .. والكتب الرخيصة وتعددت حالات الطلاق .. رغم أن المدارس لم تزل مريضة بالحياء والخجل !

□ □ □ □ □ □

وأخيرا ..

فإننا لا نطالب بتحويل المدارس إلى صالات جنس .. والفصول إلى غرف حمراء .. والمدرسات إلى عاهرات .. إننا فقط نطالب بالعلم والثقافة الصحيحه .. وفى هذا كل النفع !

(٥)

معركة الأزهر والحكومة

- الإخوان المسلمون يدعمون الشيوخ بالمنح والمعاهد فيتحالفون معهم
- طبقة كاملة من علماء الأزهر تبحث عن دور سياسى لدى المتطرفين
- انتهت جولة الكتب العلمانية فبدأت جولة الحجاب والإجهاض

يبحث الأزهر عن دور ..

تلك هى المشكلة .

مشكلة الدولة التى تواجه التطرف والإرهاب بدون غطاء دينى .

ومشكلة جماعات الإسلام السياسى التى تريد تجنيد الأزهر .

ومشكلة الأزهر الذى لا يقدر على فراق الحكومة .. ولايستطيع مواجهة التطرف .

إنه مشكلة قد يكون قد بلورها مؤتمر السكان ، ولكنها قديمة فى مصر وعمرها سنوات .. مشكلة الشيوخ الذى يحلمون بالأضواء وبالمال والزعامة والدور السياسى فى نفس الوقت .

□ □ □ □ □ □

وربما كانت أبرز نقطة فى مشكلة البحث عن دور ظهرت بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران ، فهاهى مؤسسة دينية فخمة تستطيع أن تغير نظام حكم ترفضه ، بل وتصبح هى الحاكم الفعلى للدولة فى إطار نظام آيات الله ، عندما حدث هذا داعب الحلم أذهان مئات الألوف من الشيوخ فى العالم الإسلامى ، فتمنوا السلطة وبحثوا عن فرصة تحقيق تلك الأمنية بأى شكل ، لاسيما وأن هناك نموذجاً آخر لذلك الحلم تحقق فى دولة إسلامية أخرى ، يقوم نظامه الفعلى على الاستناد إلى منظمة دينية كبرى .. كما هو حادث فى السعودية .

وليس بعيداً عن هذ أن مصر نفسها لم تكن تعرف ما الذى تريده بالضبط من هذه المؤسسة الدينية التى تبحث عن دور .. فهل هى مجرد مؤسسة للدعوة ، أم أنها مؤسسة مطلوب منها أن تلعب دوراً فى الحياة

العامة ، خاصة وأن قاضياً كبيراً قال ذات مرة « إن الأزهر متهم بالقصور وقد أدى تدنى مستوى خريجيه فى مجال الدعوة والإرشاد إلى حدوث فراغ دينى هائل ، ففشل الأزهر فى دور هو قادر عليه » - « من نص الحكم فى قضية إغتيال الشيخ الذهبى المتهم فيها تنظيم التكفير والهجرة عم ١٩٧٧ ، كما ورد على لسان المدعى العسكرى اللواء مخلوف » .

وبينما هناك حالة مائعة من العلاقة بين الأزهر والحكومة بحث الشيوخ عن مجال آخر يمكن أن يحققوا قيه ذواتهم ، بعيداً عن السلطة التى لا هى تدعهم مستقلين عنها ، ولا هى تطلب منهم أن يدعموها .. وقد كان هذا المجال هو البحث عن المال فى الدول الأخرى .. مال الإعارة فى الخليج ، حيث يلعب الشيوخ دوراً أكبر فى أنظمة تصف نفسه بأنها دينية .

وعندما سافر شيوخ الأزهر إلى الخليج تحولت رؤوسهم إلى أفكار أخرى بعيدة عن تلك التى جرى عليها الفهم الدينى فى مصر .. مفاد الشيوخ من هناك وقد عبئت جيوبهم بأموال البترودولار ، ورؤوسهم بأفكار الوهابية والإعلام السعودى وكان على الجميع فى مصر أن يتحولوا إلى نفس الاتجاه وإلا فإنهم لن يحصلوا على الإعارة ، وستضيع عليهم أموال الخليج .

هنا لم تكن الدولة قادرة على فعل شىء ، وتركت المؤسسة التى تعتقد أنها تتبعها إلى الآخرين يعبثون بها .. ولهذا لم يكن غريباً أن تتكون طبقة من الشيوخ الذين صار الدين هو مصدر دخلهم ، وأصبح وظيفتهم التى يأكلون منه عيشاً ، خاصة أولئك الذين تحولوا إلى مستشارين لبنوك تسمى نفسها إسلامية ، وأولئك الذين يدرسون فى جامعات السعودية مقررات وهابية ، وأولئك الذين أصبحت أوضاعهم الاجتماعية مرتكزة على بناء المساجد والمعاهد من تبرعات الخليج .

ولقد نسيت الدولة وسط هذه الظروف طبيعة وتاريخ الأزهر .

نسيت أنه فى الأصل مؤسسة تابعة للدولة أنشأها الفاطميون ليروجوا للمذهب الشيعى الإسماعيلى كمقدمة ضرورية للانطلاق السياسى نحو الشرق الآسيوى ، ونسيت أن الفاطميين هم الذين كانوا يحددون أسماء الشيوخ ونوع الدروس والمؤلفات ، وأنهم هم الذين أوقفوا للأزهر بعض أموال الدولة للإنفاق عليه وعلى شيوخه .

وإذا كانت الحكومة قد نسيت ، فإننا لم ننس .

لقد ذهبت دولة الفاطميين ، وجاءت دولة الأيوبيين السُّنية ، تحول الأزهر من مؤسسة شيعية إلى مؤسسة سُّنية ، هكذا بقرار حكومى ، خاصة وأن هذا القرار كان فى البداية وطوال فترات عديدة مصحوباً بدعم مالى للأزهر يجعله قادراً على أن ينفق على نفسه ، وعلى علمائه ، إلى درجة أن شيخ الأزهر كان هو المسئول عن إدارة الأوقاف التابعة للمؤسسة فى عصر الدولة العثمانية .

وقد مضى هذ الوضع على ماهو عليه ، فخلق دوراً سياسياً للشيخ ، خاصة فى عصور الظلم التى كان فيها الشعب بحاجة إلى من ينقذه من ظلم المماليك أو الفرنسيين ، حتى جاء « محمد على » الذى اعتبر أن مناهج التدريس فى الأزهر بعيدة عن العلوم الحديثة ، وأنه لايصلح لمرحلة المدارس المدنية والعلوم الغربية ، وقد ظهرت نتائج هذه الخطة بسرعة ، فتراجع الشيوخ عما كانوا عليه ، وخافوا من الوالى ، وأدركوا أن زمانهم قد ولى .. حتى أن الشيخ عمر مكرم حاول أن يجتمع بالشيوخ ليشاركوا فى مقاومة حملة "فريزر" – ضد رغبة محمد على – فخذلوه ، واستسلموا للباشا .

وقتها لم تكن هناك أموال سعودية أو خليجية .

ولم تكن هناك سوى خزائن الباشا .. وبالتالى كان من الضرورى العمل وراءه .

□ □ □ □ □ □

إن كثيراً من المعلومات السابقة موثقة بدقة فى رسالة دكتوراه تحت عنوان « الدور السياسى للأزهر » أعدته ماجدة صالح بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة .

غير أننا نتركها إلى العصر الحالى - العصر الذى يحلم فيه الشيوخ بعودة السلطة إليهم ، وكان آخرها محاولة لى ذراع الدولة فى مؤتمر السكان .

كيف كانت الصورة قبل المؤتمر ؟!

إنه سؤال هام وضرورى لنعرف مبررات مايحدث .

فقبل المؤتمر كانت الدولة قد نجحت إلى حد كبير فى إخماد نيران الإرهاب ، تمكنت بعد ثلاثة أعوام كاملة من التوتر أن تسكن تلك الآلام - فتكتم أصوات القنابل ، وتسد فوهات البنادق التى تتستر وراء الدين ، وبدا أن الأوضاع تميل إلى الاستقرار ، وأن الأحوال تتجه إلى الهدوء - وأن حلم دفع مصر إلى سيناريو الجزائر ومن بعده السودان ثم اليمن يبدو صعباً للغاية ، خاصة وأن الحكومة كشرت عن أنيابها الأمنية ، وأعلنت أنها تعرف أن هناك جهات مصرية وعربية وأجنبية تقف وراء الإرهاب وهى لن تصمت على هذا !

وقد كانت جماعة الإخوان المسلمين هى أكبر مستفيد من ذلك التوتر .

وبالتالى فإنها كانت أهم متضرر من حالة الهدوء التى يبدو أنها تكتمل .
لماذا ؟!!

لأن أجواء الإرهاب ببساطة ستؤكد لرجل الشارع العادى أن تلك الجماعة تقدم إسلاماً معتدلاً .. دون أن يدرى أنها هى التى تدعم الإرهاب ، وتروج لأفكاره ، وتساعد رجاله ، وتسلح فصائله ، وتنفق على معتقليه .

من هنا كان من الضروى اختلاق معركة جديدة تشغل الحكومة من جديد و « تلخم » الناس فى أمور بعيدة عن تطور الحياة .. وتغرقهم فى مشاكل لاعلاقة لها بالتنمية ، تمهيداً لجعل الأرض جاهزة لاستقبال الإخوان المسلمين .

إن دليل هذا ليس بعيداً ، وربما وصل لأيدى مواطنين كثيرين .. والحقائق الأخيرة شبه معروفة لكن البداية نفسها مجهولة تمت فى غرفة خاصة بأحد نائبى المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين عندما أصدر توجيهاً لأعوانه بأن يخوضوا معركة السكان وكأنها المعركة الأخيرة .. وبدا أن الهدف هو البحث عن مشكلة يمكن أن تصطدم بها الجماعة مع الحكومة فيدخل بعض أعضائها السجن ويظهرون أمام الناس وكأنهم مظلومون يدافعون عن الأخلاق ، وتقتلهم الدولة فيصبحون شهداء أمام الرأى العام .

ولهذا أصدرت جماعة الإخوان منشوراً هاجمت فيه وزير التعليم وموقفه من قضية الحجاب عندما طلب من التلميذات أن يحضرن موافقة ولى الأمر ليغطين رؤوسهن ، وهاجمت كذلك مؤتمر السكان الذى زعمت أنه يروج للإباحية والإجهاض .

ولكن المشكلة فى موقف الإخوان المسلمين لم تكن فى ذلك فقط ، ولكن

فى أن المنشور بدا وكأنه مشروع تحالف بين الأزهر والجماعة .. يحاول أن يلبى رغبات المؤسسة الدينية فى البحث عن دور .. ثم ظهر مع الأحداث أن التحالف ليس مشروعاً وإنما هو قائم بالفعل - وأن الأزهر مخترق من الإخوان ، وأن الهدف هو نقل الصراع الذى دخلته الدولة مع التطرف إلى صراع مع الأزهر نفسه .

وفى الواقع العملى يحظى الأزهر بالفعل بدعم من جماعة الإخوان المسلمين .. دعم غير علنى ، ولكنه يؤدى فى النهاية إلى تضخم حجم المؤسسة ، فقد أصبح من المعروف أن كل ثرى إخوانى إذا عاد إلى مصر فإنه يدعم إنشاء معهد أزهرى فى قريته ، ثم يسلم المعهد للأزهر الذى يعانى بالطبع من نقص الموارد التى تؤدى لقلة عدد مدارسه للدينية .

أما عن الجانب المعنوى فإن الدعم بهذا الشكل الثانى موجود أيضاً - وإلا فما معنى أن يهنىء الإخوان الأزهر على موقفه من الحكومة المضادة لها ، والمؤيدة للتطرف .. ثم يكررون الدعوة له بأن يكره مواقفه تلك من الدولة بمناسبة مؤتمر السكان .

والمثير أن ذلك يتم فى العلن .. ففى يوم ١٩ يوليو ١٩٩٤ كتب مصطفى مشهور نائب المرشد العام للإخوان المسلمين إلى رجال الأزهر .. يقول لهم : « هذا يومكم الذى وجب عليكم فيه قول الحق وتبيان الخبيث من الطيب وتوجيه الناس إلى مايرضى الله فى أمور دينهم ودنياهم .. التقوا جميعاً فى مؤتمر اعلماء المسلمين لا فى مؤتمر تدشنه وتموله وتدير شئونه أمريكا .. قولوا الحق ولا تهابوا كبيراً ، ولا تخشوا فى الحق لومة لائم » .

وكانت الرسالة واضحة .. فالإخوان يدعون الأزهر للحركة ، بل ويطلبون منه عقد مؤتمر مضاد خاص بعلماء المسلمين .

وبالتالى هذا هو الدور الذى يبحث عنه الأزهر .

ولكن هذا الدور يحتاج إلى دعم من الشارع .

والإخوان خبراء فى الشارع .. يعرفون جيداً أنه من السهل توجيهه إذا ماطبقوا شرطين أساسيين فى التعامل معه .. هى : الاستعانة بالجهل ، والدخول إلى مناطق المحرمات .. إلى غرف النوم .

ليس فى هذا أى مجاز لغوى .

أو أية مبالغة صحفية .

إنها الحقيقة التى تؤكد أن أطراف المعركة اختاروا ميداناً فى غرفة النوم .. فدرات الحرب السياسية حول مايدور على السرير ، وأطلقت نيران الشعارات السياسية والفتاوى الدينية على مايدور بين الزوجين ، ثم إنه لاتوجد قوانين يمكن أن تمنع أى طرف من تنفيذ رغبته فى ذلك المكان المغلق لو لم يرد هو .

هكذ وجد الزوجان أنفسهما فى مصر أمام أمور أخرى غير العواطف والعشرة والمحبة .

هكذا اقتحموا غرفة النوم .

اقتحمها الإخوان المسلمون .

واقتحمها الرئيس بتصريحاته .

واقتحمها وزير السكان .

واقتحمتها الفتاوى .

واقتحمها الأزهر .

ومن وجهة نظر تيار « الإعلام الإرهابى » كان من الضرورى أن تنشأ

هذه المعركة حتى لو كانت بدون دماء وقنابل ، وحتى لو كانت طلقات الرصاص ستبقى فى مكانها داخل خزائن البنادق الآلية ، خاصة وأن الضغوط الأمنية التى فرضتها الحكومة أدت فى النهاية إلى انهيار الإرهاب واعتقال أغلب قادة تنظيمات العنف والدماء .

ولأن الخسائر فى معركة الإرهاب مست عشرات الناس فى الشارع .

ولأن المواطن فى مصر يكره العنف والدماء .

ولهذا توفرت الأجواء التى سمحت بحسم - « معركة الإرهاب » لصالح - « المجتمع المدنى » الرافض لأفكار تيار الإسلام السياسى .

ولأنه كان من الصعب العودة إلى نفس الوسائل التى استخدمها هذا التيار فى جولات معركة الإرهاب ، كان من الضرورى أن يعود رموزه إلى ميدان آخر بعيد يمكن أن يعلنوا فيه للناس أنهم لازلوا على قيد الحياة ، وأنهم قادرون على تحقيق مكاسب .

ولهذا بدأ البحث عن معركة غرفة النوم .

وكانت المعركة حول « البديهيات » التى لايختلف عليها أحد .

من هنا اختار الإخوان أن يبدأوا المعركة سراً .

ولكى تحقق أسرع نتيجة كان لابد من أن تشتعل فى أجواء الجهل .

ولأن الجهل مزروع وسط الفقر .

ولأن المنشورات هى أسرع وسيلة سرية جاهلة لتحريك الفقراء .

بدأت المعركة بالمنشورات السرية .

ووزع أعضاء الجماعة أوراقاً زرقاء ، تحمل عبارات فضفاضة تبحث عن الإثارة أو تحاول ادعاء الفضيلة ، وتتباكى على الأخلاق تحت عنوان كبير هائل ، ضخم .. هو « ضياع الأخلاق » .

ولأن الذين تسلموا المنشور مجرد أشخاص عاديين لايعرفون شيئاً عن أى شىء سوى الأكل والشرب ، كان من الطبيعى أن نكون صياغة المنشور عاطفية ساخنة مثيرة تخاطب الجهلاء وتوهم الناس أننا فى مستعمرة للعراة .. فتقول : « هل تبنى الأمم بهدم سر نهضتها ، لقد تكدست الدعوة للفجور والإنحلال وأصبح هدف الإعلام هو تحقيق أغراض الصهيونية العالمية فى تحطيم الشباب .

وعندما قرأت المنشور نظرت حولى ، ربما أرى معالم ذلك الفجور .

ولما لم أجد الناس فى مصر قد غرقوا فى الإباحية ، عدت للمنشور ربما أعرف المكان ، فوجدته يقول : « الإعلام وأفيش الأفلام والاختلاط » .. ووجدته يخلط بين كل شىء ، ويوهم الناس أن اسم فيلم « كشف المستور » يعنى خلع الملابس وكشف العورة ، بينما هو فى الواقع ومن قصة الفيلم يكشف أسرار جهاز أمنى ، ووجدته يؤكد أن برامج التليفزيون تحض على الرذيلة .

لكن المنشور لم يقل كيف عرف خبراء وفقهاء الجماعة أن البرامج من هذا النوع ، وهل شاهدوها بأنفسهم أم أنهم استأجروا آخرين ليفعلوا ذلك ، فلا يتورطوا هم فى الرذيلة .

والواقع أن هدف المنشور لم يكن الدفاع عن الإخوان بقدر ما ماهو يهدف إلى شىء أكبر وبعيد .. شىء يمكن أن يوفر لهم مناخ الهجوم على الحكومة ، وبالتالى تتوتر الأحوال ، ويعود الناس إلى مناقشات دينية سفسطائية بلا معنى .. ويظهر الإرهابيون مرة أخرى لمحاربة الفجور ، ويختفى الجدل العلمى الصحى حول المشاكل الحقيقية ، ويتفرغ المجتمع

لمشاكل من نوع أبله ، وينطلق الرصاص فيطفش الناس والسائحين .

وأما الهدف الأكبر للمنشور فقد كان هو مؤتمر السكان .

لماذا لأنه شيء في مصر غير مفهوم على مستوى الشرع ، ويمكن ترويج مفاهيم خاطئة عنه ، وعلى طريقة إيهام الفلاح بأن « الديمقراطى » كافر لايعرف الله ، أوهموا الناس بأن المؤتمر مشبوه ، ومن ثم فهو مهزلة ، وبالتالى فهو مظلة للإباحية .

هكذ « خبط لزق » .

ومادام « الخبط لزق » تمر لامانع من الادعاء بأنه سوف يبيح الإجهاض والحرية الجنسية والحياة الخاصة للمراهقين ، وأنه مؤتمر لتنظيم الأسرة ، وإجبار المرأة المسلمة على تحديد النسل ، وقد كان معنى هذا هو الجهل بعينه ، لأن موضوع حبوب منع الحمل ليس سوى نقطة فى بحر المؤتمر ، ولأن الموضوعات كثيرة جداً ، وتبحث أوضاع « علاقات تبادلية وتكاملية بين المتغيرات الثلاثة - السكان والتنمية والمجتمع » .

ولكن المنشور لم يقل هذا .

ولم يقل أن المؤتمر سيناقش تفاوت مستوى المعيشة وضعف الديمقراطية فى كثير من الدول والفجوة المتزايدة بين الريف والحضر ، والفقر المدقع والثراء الفاحش ، وأوضاع التعليم ، وخدمات الصحة ، وتدنى مستوى المرأة ومشاكل البيئة .

ولم يقل أن أحد آخر أيضاً هذا الكلام .

لم تقل الحكومة ذلك .. ولهذا بدا الأمر وكأنها خسرت المعركة .

وتحول الموضوع إلى اجتماع للشواذ والإجهاض والإباحية وحبوب منع الحمل .

وسحبت الحكومة والرئيس إلى أرض الجهل والتصريحات التى تؤكد على البديهية .

من هنا نجح الإخوان مبدئياً .

إذن أشعلت الجماعة الأجواء فى الشارع .

وبقى أن تدق الإسفين بين الأزهر والحكومة ، فحرضوا المؤسسة الدينية التى ليست بحاجة لذلك ، فهى تقف مترددة بين الحكومة والتطرف ، وقد استغلوا حالة التردد تلك فقالو له : « ياشيخ الأزهر كيف نسمح بإقامة مؤتمر مشبوه على هذا النحو ، نحن وراءك لنصرة دين الله ، وإحقاقاً للحق والوقوف فى مواجهة ذلك السفور والتدهور الحضارى ، ويارجال الأزهر هبوا واغضبوا لدينكم كما عهدناكم ، وكما وقفتم أمام قرار وزير التعليم ولاتقفوا مكتوفى الأيدى » .

وقد كان .

إذ سرعان ما أصدر الأزهر ممثلاً فى مجمع البحوث الإسلامية بياناً هاجم فيه المؤتمر ، وشن إنطلاقات على ماقيل عن الإجهاض والشذوذ وأشكال الاقتران الأخرى بخلاف الزواج ، وقد كان بياناً غريباً بدا فيه أن الأزهر يستجيب لندءات الإخوان ويحاول أن يبدو وكأنه ليس أقل من الفاتيكان الذى هاجم المؤتمر بشدة .

وربما يكون من المهم للتدليل على عدم دقة موقف وبيان الأزهر أن نشير إلى تحليل أجراه الدكتور سعد الدين إبراهيم فى مجلة المجتمع المدنى «العدد ٣٣» للبيان ، قال فيه : « إن أول مايسترعى الانتباه فى بيان مجمع البحوث الإسلامية هو أنه لم يستشهد من وثيقة المؤتمر باقتباس نص

و٨٣احد للتدليل على وجهة نظره فى مشروعية خلافه مع الوثيقة ، وبدلاً من ذلك يستخدما لكمات مثل « يوحى » ، وهو أمر غريب خاصة إذا وجدنا البيان يقول : « إن مشروع الوثيقة يوحى بأنه يرمى إلى تبنى نقيض ماوضعه الإسلام عن مقومات أساسية للأسرة » .. وهذا أمر غير موجود فى الوثيقة على الإطلاق .. بل إن الوثيقة تؤكد أن الأسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع ، وبهذه الصفة فإنها يجب أن تكون محل الرعاية والحماية الشاملتين .

والمعنى أن الأزهر قد تورط ، وأنه لكى يبحث عن دور وجد نفسه فجأة وسط مجموعة من الجماعات فى الدولة تحاول أن تسجل نقاطاً على الحكومة ، وأن تسحبها إلى معركة أخرى بعيدة عن الهدف الأساسى من العمل الوطنى ، فتدخلها من جديد فى مناقشات حول تنظيم الأسرة والتعقيم والإجهاض أو ماشابه من تلك لأمور المتفق عليها بشكل كامل عقيدياً .

ولم يكن ذلك الأمر سوى مناسبة لاستعراض عضلات الشيوخ .

كما فعلوا من قبل فى قضية الهجوم على وزير التعليم .

وكما فعلوا فى قضية اتهام الصحفيين بالكفر .

وكما سيفعلون فى حالات أخرى كثيرة .. خاصة وأن الوضع سيبقى كما هو عليه الآن بين أزهر يبحث عن دور ، وتطرف يغازله ، وحكومة لاتتخذ موقفاً من الاثنين !

من إصدارات دار سفنكس للطباعة والنشر



حكومات غرف النوم

للكاتب الصحفى عادل حمودة



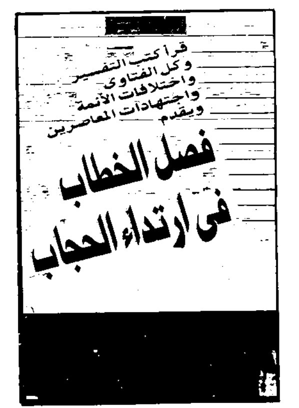
النكتة السياسية

للكاتب الصحفى عادل حمودة



عمائم وخناجر

للكاتب الصحفى إبراهيم عيسى



فصل الخطاب في ارتداء الحجاب

للكاتب الصحفى ابراهيم عيسى



الإباحية والإجهاض

عبدالله كمال



ملف عبد الحليم موسى

للكاتب الصحفى عمرو خفاجى



أسيوط مدينة النار

أحمد عمر



صفوت عبد الغنى

للكاتب الصحفى عبد السلام الواحاتى



ايام السادات الاخيرة

للكاتب الصحفى عادل حمودة

كنت قاضيا لحادث المنصة

للدكتور / سمير فاضل



اغتيال رئيس

للكاتب الصحفى عادل حمودة



الفاجومى

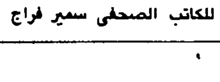
للشاعر احمد فؤاد نجم



الملك احمد فؤاد الثانى

للكاتب الصحفى عادل حمودة





ناريمان

للكاتب الصحفى سمير فراج



نميرى والعودة لحكم السودان

للكاتب الصحفى محمود فوزى



اعترافات مصطفى امين

للكاتب الصحفى محمود فوزى



بطريق الخداع

تاليف بيتر استروشكى - كليرهدى



الموساد واغتيال المشد

للكاتب الصحفى عادل حمودة



القادة

تاليف بوب وودوارد

ترجمة صبحى مشرق

تحقيق : عادل حمودة



حرب الخليج .. الملفات السرية

تاليف : بيير سالنجر - إريك لوران

ترجمة : د . عربى مخلوف

تحقيق : عادل حمودة

مسرحية من ثلاثة فصول

تأليف فاروق سالم

نظام شطارة

للأستاذ / فاروق سالم



نواب الكيف

للكاتب الصحفى محمود الشربينى

المرجع الفنى الشامل

فى

الضريبة العامة على المبيعات

تأليف/ جمال أحمد شوارة

المرجع الفنى الشامل

فى الضريبة العامة على المبيعات

للأستاذ / جمال شوارة

رقم الايداع بدار الكتب
٩٣٤٢/ ٩٤

I. S. B. N
977 - 5185 - 19 - X

تم الجمع التصويرى والتصحيح اللغوى
بـ فاين لاين للطباعة والنشر والإعلان
شارع الجزائر-الشطر الثامن
عمارة ٣/٢-المعادى الجديدة
ص .ب٧٨ المعادى رقم بريدى ١١٤٣١
تليفون:٣٥٢٠١٥٤

مطابع الأهرام بكورنيش النيل



هذا الكتاب

انه ببساطة كتاب يحتوى على فصول معركة سياسية هدفها « غرف النوم »

فهو مجرد رصد لواقع الإباحية فى مصر .. وأيضا متابعة ورصد لمن يطالب ببرامج تدريب الجنس فى المدارس والجامعات وهو كذلك حديث عن الإجهاض وعن الجماعات التى تطالب به فى مصر.

وأخيرا فهو رواية لتفاصيل السجال السياسى حول مايسمونه بالفجور... والشذوذ... والمؤامرة على الأخلاق.

أما لماذا وكيف .. ؟

فذلك هو موضوع الكتاب

من مقدمة الكاتب



مطابع الأهرام بكورنيش النيل